FRIEDRICH EBERT STIFTUNG

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

URBAN LAB CAMP 6TH EDITION

HCSR
The Human and the City Research Network

"تأملات من الجنوب العالمي"

تفكيك النمو

عالمين مختلفين
بين الإسماله والتبالة
او شخص واحد ولكن
له حياتين حياه الصعيد
وحياه القاهرة

٢٠٢٥

تفكيك النمو

تأملات نقدية من الجنوب العالمي

مايو ٢٠٢٥

منتج خلال

معسكر المختبر الحضري: ٢٠٢٤

FRIEDRICH EBERT STIFTUNG

Egypt Office

تفكيك النمو

تأملات نقدية من الجنوب العالمي

"إعداد هذا العمل ضمن مخرجات معسكر المختبر الحضري ٢٠٢٤"

نشر من قبل مؤسسة فريدريش إيبرت (مكتب مصر)
حقوق الطبع © ٢٠٢٥ محفوظة لمؤسسة فريدريش إيبرت
جميع الحقوق محفوظة
تمت الطباعة بجمهورية مصر العربية
أصدر من قبل مؤسسة فريدريش إيبرت (مكتب مصر)

* هذا الكتاب لا يعبر عن رأى مؤسسة فريدريش إيبرت ويتحمل المؤلف كامل المسؤولية عن محتوى الكتاب

ملاحظة للعلامة التجارية:

العلامة التجارية وشعار مؤسسة فريدريش إيبرت ومؤسسة فريدريش إيبرت (مكتب مصر) مملوكة من قبل: Friedrich-Ebert-Stiftung e.V.
وتستخدم بموجب ترخيص من قبل مالك العلامة التجارية.

نسخة مجانية

www.fes-egypt.org

حول مؤسسة فريدريش إيبرت في مصر

استلهاماً من أهداف مؤسسة فريدريش إيبرت العامة والمتمثلة في تعزيز الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، ودعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية، والدعوة إلى حقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين، بدأت المؤسسة عملها في مصر منذ عام 1976. يعمل المكتب بمصر منذ أكثر من 45 عاما بالتعاون مع شركاء محليين في إطار اتفاقيات مبرمة مع الحكومة المصرية. الاتفاقية الاولى تم اعتمادها بقرار جمهوري رقم 139/1976 وموافقة البرلمان المصري. وقد تم تجديد هذه الاتفاقية عام 1988 وتم اعتمادها بقرار جمهوري رقم 244/1989 وموافقة البرلمان المصري. وفي مارس 2017، تم التوقيع على بروتوكول إضافي جديد في برلين من قبل الحكومتين المصرية والألمانية، تعديلا على الاتفاقية الثقافية لعام 1959. وقد صدق البرلمان المصري على هذا البروتوكول في يوليو 2017 ودخل حيز التنفيذ في نوفمبر بنفس العام بموجب القرار الجمهوري رقم 267/ 2017. وفي الوقت الذي تغير فيه الإطار القانوني لمشاركة لمؤسسة فريدريش إيبرت في مصر، فإن التزامها بمساعدة الشعب المصري خلال العملية الانتقالية الجارية لا يزال هو نفسه. كانت المطالبة بإحداث تغيير اجتماعي وسياسي جوهري هي المحرك وراء الانتفاضة المصرية سنة 2011. فالتعامل مع هذه المطالب مازال وسيظل هو التحدي الأساسي أمام المعنيين والمجتمع المصري بأسره على مدار السنوات القادمة والمؤسسة على أتم الاستعداد لمساعدة الشعب المصري أثناء هذه العملية الانتقالية. فمن خلال مجموعة من المشاريع المتفق عليها بصورة متبادلة، تسهم المؤسسة في مواجهة هذا التحدي.

تتعاون مؤسسة فريدريش إيبرت مع الشركاء المصريين في مجالات:

- التحول الاجتماعي والبيئي
- التنمية الاقتصادية والاجتماعية
- تمكين المجتمع المدني
- التعاون والحوار الدولي

مؤسسة فريدريش إيبرت
مكتب مصر
4 شارع الصالح أيوب
11211 الزمالك، القاهرة – مصر
ت: 00202 8-27371656
ف: 00202 27371659

Email: fes.egypt@fes.de
www.fes-egypt.org

مراجعة وتحرير:

حنين شاهين

صلاح المولد

نوران المرصفي

ياسمين حافظ

ياسمين حسين

تدقيق وترجمة:

خلود سعيد

ساهم في الترجمة:

عبد الله ربيع

تصميم جرافيكي وداخلي:

آلاء عبد العزيز

فريق المختبر الحضري

فريق المتحدثين:

حنين شاهين

خلود سعيد

ريهام عبد الحميد

رونيا شيفر

صلاح المولد

نوران المرصفي

ياسمين حافظ

ياسمين حسين

فريق المنسقين:

خالد عثمان

إسراء أمان

شروق علي

توثيق بصري:

محمد الإكيابي

تصوير فوتوغرافي:

حسام رجب

قائمة المحتويات

تصدير: خط مستقيم متصاعد ١٢

مقدمة ١٤

نقص النمو؟ ١٤

النمو وتغير المناخ ١٦

نقد دعوة تفكيك النمو: مواطن أسمر لديه حرية اقتصادية! ١٨

نحو تفكيك النمو: انعكاسات على العمران، تغير المناخي، والتموضع ٢٠

الباب الأول: اللغة وعاء الفكر: إنت بتقول ايه؟ ٢٣

بين النمو وحسره: ماذا لو «نما» كورنيش المنيا؟ ٢٦

قبل الطوفان ٣٦

الأطراف الرمادية ٤٤

بين تحديات التأقلم وفلسفة النمو الخفي ٤٨

الباب الثاني: محاولات الفهم «دقيقة يا جماعة نفهم» ٥٧

هل يعتدل النمو؟ ٦٠

هل الرحلة حقًا فردية أم هي الرأسمالية؟ ٦٨

لمن البناء اليوم؟ تفكيك نمو السرطان العقاري: احتياج متزايد أم رفاهية؟ ٧٢

سلوك الاستهلاك والندرة الاصطناعية: هل المصري مستهلك بطبعه! ٧٨

استعادة حق الخيال المسلوب: تباطؤ النمو والواقعية الرأسمالية ٨٤

الباب الثالث: محاولات التطبيق: «والعمل؟ نظام شمولي يدّعي الرشادة!» ٩١

رسائل الهدهد ٩٤

لمن الحق في اللانمو؟ ١٠٠

٢٠٧٠ حيث تم القضاء على وحش الرأسمالية الشرس بسيف «تفكيك النمو» ١٠٨

نظرية الأقدام السوداء ١١٦

الباب الرابع: العودة إلى الذات « أنا مش أنا» ١٢٥

التوقف عن التصاعد ١٢٨

أسفل كوبري ثروت ١٣٢

نمو الإنسانية أولاً ١٣٦

«خبأتك بقلبي» ١٤٢

بحثا عما أفقدتني الرحلة؟ ١٤٨

ملحق تفكيك النمو: نظرية الوفرة الجذرية ١٥٧

قائمة الأشكال

نسبة رؤية البحر في ٢٠٠٢ ٣٢

نسبة رؤية البحر في ٢٠٢٤ ٣٢

نسبة رؤية البحر المتاحة من خلال النوادي والمقاهي وأماكن انتظار السيارات ٣٢

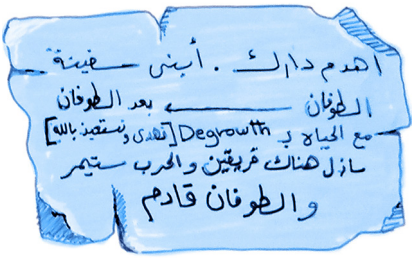
انعدم دارك . أبنى سفينة
الطوفان ← بعد الطوفان
مع الحياة بـ Degrowth [تقدى ونستعيذ بالله]
سازل هناك قريبين والحرب ستيمر
والطوفان قادم

النمو
التنمية
الفرق
علاقة فكرة الرفاهية مع النمو
اقتصادية
البشرية
صحة
المعرفة
الاستدامة
ما بعد التنمية
فشل التنمية وظهور ما بعد التنمية
تفكيك النمو
مقدمة
ماهي التنمية
من هو المتقدم
من هو المتخلف
GROWTH
جيسون هيكل
هل للتنمية كمالوج
لايوجد نموذج عالمي موحد
ليس كل نمو اقتصاد فقط
* الرأسمالية هي الشيطان الأعظم
* عدم الإفراط في الانتاج والاستهلاك
* يجب ان يحدث في دول الشمال
* اما دول الجنوب تطور لكي تدرس النمو

خدعة الرفاهية واستغلالا لصالح الرأسماليه
اعادة ادراك السعادة من وجهات نظر تؤيس نظر العالم
هل الحل فى تفكيك النمو
التعاون
الزراعة
الوعى والمعرفه
ظهر بشكل واضح
تأسيس منتدى لدراسات
هبوط المصطلح
١٩٧٢
ظهر المصطلح
DE
التغير المناخى
هل العالم جاهز
للعودة الى
الوراء ؟ ← نعم ؟
لا ؟

تصدير

خط مستقيم متصاعد

«يبدو أن العالم ينمو عكسنا ... عكسنا نحن بلاد الجنوب»

خط مستقيم متصاعد هو غالبًا المُتوقع من النمو الاقتصادي، هكذا تبنى مشروعات وسرديات التنمية. تتنافس الشعوب على المصادر الطبيعية لتكملة هذا الخط للصعود إلى الرخاء. ولكن الشق الثاني من هذا التوقع للإبقاء على سرعة ورعونة الخط المستقيم المتصاعد هو أنه يمر كالعربة وتُكسر أجسام في طريقه. هل من الممكن أن يبطئ حتى نفكر أو نعيد التفكير في الواجهة؟ هل حقًا تنمو الشعوب أم إنها محض لعبة سخيفة انخرط فيها العالم منذ آلاف السنين ولا زالت لم تفقد زهوتها؟

يضم هذا الإصدار نتاج عمل المختبر الحضري السادس الذي عُقد في الفترة من ٢١ إلى ٦١ سبتمبر ٤٢٠٢ بالشراكة بين مؤسسة فريدريش إيبرت- مكتب مصر ومكتبة الإسكندرية، وبالتعاون مع الإنسان والمدينة للأبحاث الإنسانية والاجتماعية وعدد من المتخصصين/ات. تخطى عدد المشاركين/ات العشرين، وامتد كان توزيعهم/ن الجغرافي من أقصى الشمال على ساحل البحر المتوسط لأقصى الجنوب في أسوان. تنوعت معيشتهم/ن بين المدن والقرى، والعديد منهم/ن كانوا من المُتنقّلين دائمًا منها وإليها بحثًا عن فرص أفضل. أيضًا تنوعت خلفياتهم/ن العلمية والعملية بين الاقتصاد والعمران والزراعة والآداب والعلوم الإنسانية، ذلك التنوع المعرفي الذي يخدم المفهوم الأشمل والأوسع للعمران كما يفهمه الفريق المُنظِّم. صُمِم برنامج الورشة ليمتد لأربعة أيام في مدينة بورسعيد[١]. تنوعت الجلسات بين تعريفية عن بعض المفاهيم العمرانية وتطبيقاتها وأخرى عن التغير المناخي وعلاقته بمفهوم نقصان النمو. حرص المُقدمين على أن تكون الجلسات ذات طابع نقاشي تفاعلي.

١- في محاولة لتفكيك مركزية القاهرة الكبرى، والإسكندرية إلى حد ما، وللتعرف عن قرب على مثال للمدينة الحضرية ذات النموذج الاقتصادي والعمراني والتراثي المميز والتحديات التي ربما تواجهها بسبب «التنمية» و«التطوير». تجلى هذا في النقاش مع آية أيمن مُسلم، مخرجة الفيلم القصير «بين شطين» الذي عرض نماذج لشباب من بورسعيد اضطروا للانتقال إلى القاهرة.

كما تخلل هذه الجلسات ورشات مُصغرة لتطوير أفكار الكتابة سواء كانعكاسات على الجلسات أو كتطوير لأفكار أصلية.

ركّز المختبر هذا العام على مفهوم «تفكيك النمو» (Degrowth) متحديًا نماذج النمو الاقتصادي التقليدية، حيث يُقدِّم مسارات بديلة تولي أولوية للاستدامة البيئية والعدالة العمرانية والاجتماعية. وعلى مدار أيام المختبر، جرى تناول المفهوم من زوايا متعددة- لغوية وتاريخية وفلسفية واقتصادية- مع ربطه بتحديات تغير المناخ وقضايا العمران. واعتمد المختبر على أعمال جيسون هيكل الرائدة، ما ساعد على توفير أساس معرفي قوي للمشاركين مكّنهم/ن من تطوير نقاشاتهم/ن وإنتاج نصوص عربية تتناول المفهوم من زواياه المختلفة، وهي النصوص بين أيديكم الآن.

أيضًا شارك الفريق المُنظِم مع المشاركين الهدف والمنتج النهائي من الورشة، الأمر الذي ساعد على خلق نقاشات جانبية ومحاولات إنتاج خارج إطار الجلسات والذي رآه الفريق المُنظِم كنشاط يجب تغذيته ودعمه، فقرر الفريق إعادة تصميم البرنامج وترك مساحات أكثر لها. تتطرق الكتابات في هذه المطبوعة إلى محاولات تكوين انعكاسات نقدية ومعرفية نابعة من سياقتنا المحلية وتموضعنا في مصر، كجزء أصيل من الجنوب العالمي مهموم ومنهك من محاولات اللحاق بالنمو. حاولنا تفكيك مفهوم النمو للحفاظ على ما تبقى من البشرية والطبيعة، وطرح أسئلة عمن يستفيد من النمو ومن يتم إقصاءه. جاءت الفكرة من الأهمية العملية لهذا النقاشات، وأيضًا الحاجة الشخصية للتوقف والتفكير فيما الخطأ الذي نرتكبه لأن بلاد الجنوب يبدو أنها تنمو عكسيًا.

مقدمة

نقص النمو؟

شهد العالم في السنوات الأخيرة تزايدًا في نقد الرأسمالية مرة أخرى بعد هدوء نسبي منذ الاهتمام بتطورات أفكار ما بعد التنمية، خاصةً للمفكرين من الجنوب العالمي مثل عالم الأنثروبولوجيا الكولومبي أرتورو إسكوبار والمفكر المكسيكي جوستافو استيفا والمفكر الإيراني ماجد راهنيما أو من المفكريين الأوروبيين مثل الألماني وولفجانج ساشس. وعلى الرغم من الاختلافات البسيطة بين أفكار هذا التيار إلا أنها تجتمع حول أساس فكري واحد، وهو رفض النماذج الغربية للتنمية وما تفرضه من معايير باعتبارها عملية هيمنة تؤدي إلى إهمال الثقافات والمجتمعات المحلية.

وفيما قد نعده تطورًا وتصورًا آخر لهذه الأفكار وبالتزامن معها، يظهر مفهوم «تفكيك النمو» وهو توجه اقتصادي واجتماعي يعيد تشكيل العلاقة بين النمو الاقتصادي وبين التقدم المجتمعي والاستدامة البيئية، ويطرح فكرة تضع الأولوية لتحقيق العدالة الاجتماعية والعدالة البيئية والرفاه الإنساني، بدلاً عن هدف رفع المؤشرات الاقتصادية البحتة مثل الناتج المحلي الإجمالي.

نشأت الفكرة كردّ فعل على الأزمات البيئية والاقتصادية التي شهدها العالم منذ سبعينيات القرن الماضي. ففي عام ١٩٧٢، ظهر المصطلح للمرة الأولى عن الفيلسوف الفرنسي أندريه غورز، ثم أصدر نادي روما تقريرًا بعنوان «حدود النمو» ليحذّر من أن الاعتماد المفرط على النمو الاقتصادي في ظل بيئة محدودة الموارد سيؤدي إلى كوارث بيئية واجتماعية. تراجع النقاش مرة أخرى في التسعينيات، ومع تزايد القلق العالمي حول الاستدامة والعدالة البيئية وجد مفهوم تفكيك النمو مؤيدين بين الباحثين والنشطاء المعاصرين بعد المؤتمر الدولي الأول في ٢٠٠٨ بباريس وظهور المصطلح بالإنجليزية وانتشاره خارج أوروبا، وأصبح بمثابة حركة اجتماعية تطالب بتغيير جذري في كيفية فهمنا للرفاه والتقدم.

وتجدر الإشارة إلى أن الفكرة تجد أن النمو الاقتصادي الدائم كهدف يؤدي إلى استنزاف الموارد، وزيادة انبعاثات الكربون، وتدمير التنوع البيولوجي. إذ أن الهدف الأصلي للنمو هو تحقيق الرفاه فإذا حاد عنه ليصبح هو هدف بحد ذاته لتحقيق مطامع فئة معينة، يؤدي إلى زيادة التفاوت الاجتماعي حيث تستفيد الفئات الأغنى من فوائده بشكل غير متوازن، في حين تتفاقم معاناة الطبقات الفقيرة وتزداد الفجوات الاقتصادية.

يُعد جيسون هيكل، الأستاذ في معهد العلوم والتكنولوجيا البيئية وقسم الأنثروبولوجيا، من أهم منظري الفكرة في العالم المعاصر وتُترجم أعماله للعديد من اللغات وجرى الاعتماد على أعماله لفتح النقاش خلال المختبر. ووفقًا لجيسون هيكل يرتكز تفكيك النمو على عدة مبادئ، وهي:

١. تقليل الفوارق الاقتصادية والاجتماعية من خلال إعادة توزيع الثروة بشكل يحقق العدالة الاجتماعية،
٢. تقليل استهلاك الموارد والهدر وتقليل الإنتاج غير الضروري في مقابل التركيز على الإنتاج الضروري بهدف الحد من التدهور البيئي،
٣. استقلالية المجتمعات المختلفة لإعادة تعريف مفهوم الرفاه الخاص بها بناء على معطياتها بعيدًا عن المعايير الاقتصادية البحتة ولربما تظهر مؤشرات السعادة العامة وجودة الحياة والعلاقات الإنسانية وحرية الوقت.

يمكن أن نعد كوستاريكا نموذجًا ناجحًا لتفكيك النمو كما يراه جيسون هيكل، وإن أعطوه اسم «الحياة الطيبة»؛ حيث تحقق مستويات رفاهية عالية رغم معدل ناتج محلي إجمالي منخفض مقارنةً بالدول

المتقدمة. تعتمد كوستاريكا على نموذج اقتصادي يرتكز على الاستدامة البيئية وتقليل الاعتماد على الصناعات الثقيلة وتقديم خدمات صحية وتعليمية عالية الجودة، مما يتيح لسكانها مستويات معيشية عالية دون الحاجة إلى نمو اقتصادي مرتفع.

إلا أن تطبيق المفهوم على نطاق واسع عالميًا يواجه تحدياتٍ كبيرة، من أبرزها مقاومة الشركات الكبرى متعددة الجنسيات التي تعتمد على النمو المستمر لتحقيق أرباحها، والتحكم في الدول وضغوط السياسات الاقتصادية العالمية وما يقف ورائها من مؤسسات عالمية دولية تُشجِّع النمو الاقتصادي وتعتبره معيارًا للتحضر. كما أن هذا التحول يتطلب تغييرًا ثقافيًا كبيرًا لدى المجتمعات، إذ يجب إعادة تعريف الرفاه في كل مجتمع بعد عقود طويلة من التبعية الثقافية لمفهوم الاستهلاك كمعيار للسعادة الذي رسخته الرأسمالية وتدعمه الأنظمة. وتتطلب إعادة تعريف المفاهيم الاجتماعية حوارًا مجتمعيًا لا تعرفه معظم دول الجنوب التي تقبع تحت الديكتاتورية المدعومة من الشمال. ويستلزم هذا أيضًا إحياءً لثقافات إن لم تكن اندثرت بالفعل فهي في طريقها إلى الاندثار. والآن من منظور الجنوب سنجد أن ما يبدو فكرة رائعة لتحقيق العدالة هو نفس سيناريو ما يحدث دائمًا؛ إذ يأتي الشمال العالمي ليطلب من الجنوب قلب كل ما فرضه عليه في آخر مائتي عام: أن يتحول التركيز من الاستهلاك الزائد والرفاهية المادية إلى السعادة العامة والرفاه والتوازن البيئي للتنصل من المسؤولية التاريخية والديون المعنوية والمادية.

النمو وتغير المناخ

تغير المناخ تحد عالمي يُؤثّر على حياتنا اليومية، وتشمل آثاره ارتفاع درجات الحرارة، والتغيرات في مستويات هطول الأمطار، وزيادة تواتر أو شدة بعض الظواهر الجوية المتطرفة، وارتفاع مستويات سطح البحر التي تهدد صحتنا وتُؤثّر على الحياة اليومية من خلال الطعام الذي نأكله والمياه التي نشربها والطقس.

وعلى الرغم من الجهود والاتفاقات الدولية، لا يزال تغير المناخ يُمثّل تحديًا عالميًا ملحًا خاصة بالنسبة لدول الجنوب العالمي. وتتأثر مصر بشدة بآثار تغير المناخ. وفقًا لتقرير البنك الدولي لعام ٢٠٢٢،

تشير التقديرات الخاصة بمصر إلى أنه بحلول عام ٢٠٦٠ سيمثل التأثير المشترك لتغير المناخ ما بين ٢٪ و٦٪ من الناتج المحلي الإجمالي لمصر.

يعد تفكيك النمو مفهومًا اجتماعيًا واقتصاديًا، وحركة تدعو إلى التخفيض المتعمد للإنتاج والاستهلاك لتحقيق مجتمع مستدام ومنصف. ظهر المفهوم في خضم المناقشات الراهنة حول المشكلات والسياسات البيئية، بوصفه استراتيجية بديلة للحد من الضغط البيئي. يجادل دعاة تفكيك النمو بأنه لمعالجة تغير المناخ بشكل فعال، يجب على المجتمعات استهلاك موارد أقل، وإنتاج نفايات أقل، وتقليل استهلاك الطاقة.

ونتيجة لتغير المناخ، قد تؤدي موجات الحر والظواهر الجوية المتطرفة في مصر إلى انخفاض الإنتاجية الزراعية، مما يجعل من الصعب تلبية الاحتياجات الغذائية للسكان المتزايدين. وفي ظل تفكيك النمو، يمكن أن يؤدي انخفاض الاستثمارات إلى انخفاض الإنتاجية الزراعية وإنتاجية المحاصيل بسبب زيادة ملوحة التربة أو الظواهر الجوية المفرطة أو الحرارة. وقد يؤدي الافتقار إلى نقل العلم والتكنولوجيا في نظم الزراعة والري إلى تفاقم هذا النقص في إنتاجية المحاصيل، مما يؤدي إلى نقص الأغذية وارتفاع الأسعار.

وفيما يتعلق بنظم الرعاية الصحية، يحتاج المرضى إلى العلاج من الأمراض المعدية وغير المعدية وخاصةً السكري والقلب والأوعية الدموية والسرطان من أجل ضمان الوقاية من الأمراض المعدية (مثل التهاب الكبد وأمراض أخرى). ويلزم علاج الأمراض السرطانية وأمراض القلب والأوعية الدموية بأدوية تكنولوجية جديدة. يجب أن يتمتع المرضى بسهولة الوصول إلى الرعاية الصحية والكشف المبكر للحصول على فرصة أفضل للشفاء. قد تحد استراتيجية خفض النمو من قدرة وزارة الصحة على شراء اللقاحات والأدوية ومجموعات المختبرات الطبية والمعدات الطبية بشكل أفضل والتي يمكن أن تضمن علاجًا جيدًا للمريض المناسب في الوقت المناسب وتضمن تشخيصًا أفضل للأمراض، وكذلك توفير اللقاحات من أجل الوقاية من الأمراض المعدية للأطفال. ستتأثر صحة الأم أيضًا بسبب الموارد الاقتصادية المحدودة في إطار استراتيجية تفكيك النمو، وقد تعاني الحكومة لتمويل هذه البرامج الضرورية وضمان حياة صحية.

خلال سلسلة المناقشات المختبر الحضري، لم يُظهر مفهوم تحقيق الرفاهية وحياة أفضل- من خلال تفكيك النمو- أدلة حقيقية. قد يرجع هذا إلى تعدد التعريفات والرؤى للرفاهية. يمكن تعريف الرفاهية على أنها حالة الراحة والصحة والسعادة، بما يشمل التوازن بين الصحة البدنية والعقلية والعاطفية والاجتماعية. إن استنشاق الهواء النقي، وسهولة الوصول إلى الطبيعة والبحر، والحياة الاجتماعية وقضاء الوقت مع العائلة والأصدقاء هي أيضًا ضرورة وقد تكون مرتبطة بالرفاهية. قد يذكر آخرون أن أسلوب الحياة عالي التقنية الذي يتضمن الأجهزة الرقمية مع اتصال بالإنترنت ثابت ودائم أمر لا بد منه للرفاهية.

يمكن تقديم تفكيك النمو كاستراتيجية جديدة لتقليل الضغط البيئي ومن أجل رفاهية أفضل للبشر. ومع ذلك، وعلى حد علمي، لا ينبغي تعريفه على أنه نموذج يمكن تطبيقه أو تكراره في الجنوب العالمي والبلاد ذات الكثافة السكانية العالية مثل مصر. يجب على كل مجتمع تحديد رفاهيته ووضع مؤشراته لقياس أفضل الاستراتيجيات، سواء كانت استراتيجيات النمو أو تفكيكه، وبالتالي اتخاذ خطوات في هذه الشأن.

نقد دعوة تفكيك النمو: مواطن أسمر لديه حرية اقتصادية!

لماذا يكره أبناء الجنوب تفكيك النمو؟ بمعنى آخر، لماذا أكره تفكيك النمو؟ وهل تعرف ما هو النمو؟ بالنسبة لأبناء الشمال، النمو يعني التطور الصناعي الذي أدى إلى ارتفاع الناتج المحلي، مما ساهم في التقدم الحضاري والعمراني والاقتصادي، وأدى إلى خلق مجتمع رأسمالي سعيد. لكن لا أحد من أبناء الشمال يتحدث عن أن بقاء هذا المجتمع يعتمد على استعمار واستعباد أبناء الجنوب. لذلك، حرص أبناء الشمال على إنشاء نظام رأسمالي استعماري معقد يصعب تفكيكه، مما خلق أجيالًا من أبناء الجنوب مؤمنة بضرورة بقاء هذه المستعمرات لتوفير مقومات الرفاهية وأسباب الحياة.

تتحدث فرضية تفكيك النمو عن تقليل الإنتاج والحد من الاستخدام المفرط للطاقة والاستهلاك، ولكن في إطار النظام الاقتصادي والسياسي الحالي، الذي ليس سوى امتدادًا للنظام الاستعماري السابق. نحن لا نزال أسرى الاستعمار، استعمار حقيقي مسلح. يقول جواو روميرو في مقاله

«نقد فكرة النمو واللانمو: من الدول المتقدمة إلى الدول النامية» إن تجربة النمو تخلق تجربة اجتماعية فريدة للمجتمعات التي حصلت عليها، وبالتالي تتحدد الأدوار الاجتماعية في هذا المجتمع بناءً على مقدار إنتاجيته ورأس ماله مما يؤهله لممارسة أدوار سياسية واقتصادية أخرى. لكن أبناء الجنوب حتى هذه اللحظة لا يتمتعون بهذا الترف، توجد أدوار اجتماعية ولكنها بسيطة وتهدف إلى خدمة الأنظمة الشمالية المعقدة.

لطالما تعامل أبناء الشمال مع دول الجنوب كمصدر للموارد للإنتاج المستمر والعمالة الرخيصة، ولا تصدق عزيزي أي شيء آخر- فالإبادة على بعد خطوات كفيلة بتأكيد ذلك. أبناء الجنوب سئموا من الأفكار المثالية التي يصعب تنفيذها حول العدالة والمساواة. يقول هيكل إنه إذا كان النمو بديلاً عن المساواة، فإن المساواة يمكن أن تكون بديلة عن النمو، لكنه لم يتحدث عن ماهية المساواة وهل ستكون مساواة عرقية أو دينية. وأضيف: هل ستصبح هناك ديمقراطية اقتصادية وحرية سياسية حقيقية؟ فشلت كل الأنظمة غير الرأسمالية لأنها تراهن على حب البشر للعدالة، بينما التاريخ يثبت أن الإنسان يسعى دائمًا للسيطرة وزيادة نفوذه.

لذلك قبل أن نتحدث عن تفكيك النمو، يجب علينا مناقشة الهيمنة البيضاء والتبعية والتفوق العرقي. علينا تناول الاستعمار الاقتصادي والنقدي والسياسي بصراحة والجهر بأن النظام البنكي الحالي هو نظام استعمار جديد.

وقبل أن نحث الشمال على الحد من النمو أو تفكيكه، يجب على فرنسا تحرير مالي والنيجر وتشاد والكاميرون وغيرها من الدول. وكذلك يجب على المملكة المتحدة تحرير جزر أنغويلا والعذراء البريطانية.

وعندما نتحرر، أريد ضمانات كافية بأنني كمواطن أسمر سأحصل على حرية اختيار النظام الاقتصادي الذي يناسبني. أريد ضمانات بأن رفضي للنظام الرأسمالي الأبيض لن يؤدي إلى احتلال أمريكي أو نظام سياسي يقيدني ويعيد مجتمعي إلى أسر القروض.
إذا حصلت على هذه الضمانة، سنتحدث عن تفكيك النمو.

فريق المختبر العمراني ٢٠٢٤

الكتابات

نحو تفكيك النمو:
انعكاسات على العمران، وتغير المناخي، والتموضع

تأتي هذه المطبوعة كدعوة للتفكير في مفهوم «تفكيك النمو» من منظور الجنوب العالمي، ومن واقع التجربة المصرية بشكل خاص. تسعى إلى تقديم قراءة معمّقة تسائل المفهوم وتعيد صياغته بما يتماشى مع التحديات والطموحات المحلية، بعيدًا عن الاقتصار على شرحه أو تعريبه.

تتناول المطبوعة قضايا تتقاطع بين العمران والتغير المناخي، مسلطةً الضوء على العلاقات المعقدة بين النمو المادي والاستهلاكي في المدن من جهة، والحاجة إلى أنماط أكثر استدامة من التطور العمراني من جهة أخرى. وتقدم انعكاسات متعددة حول الأسئلة المرتبطة بإمكانية تطبيق تفكيك النمو كنهج عملي، مع تحليل للتحديات والمخاوف التي قد تعترضه، إضافة إلى الطموحات المستقبلية والرؤى البديلة التي قد تقود إلى واقع أكثر عدالة.

تضم المطبوعة أيضًا أفكارًا متنوّعة نتجت عن الاشتباك المعرفي مع المفهوم، بعضها يعيد صياغة العلاقة بين الموارد الطبيعية والاستهلاك، وأخرى تناقش ارتباط العمران بالعدالة المناخية. كما تُبرز رؤى ترتبط بالتموضع المحلي والجنوب العالمي، وتفكك المركزية التي لطالما سيطرت على التفكير التنموي. تطمح هذه المطبوعة إلى أن تكون أداة تفكير نقدي وعملي في الوقت ذاته، تُفتح من خلالها مساحات جديدة للنقاش حول كيفية خلق بدائل للتنمية التقليدية التي لطالما اعتمدت على استنزاف الموارد والتهميش. هي دعوة لإعادة النظر في مفاهيم التقدم والرقي، ولتصميم مستقبل يتناسب مع احتياجاتنا وإمكاناتنا المحلية.

DEGROWTH

كيف نترجم

نقل المفهوم وليس ترجمه المصطلح ؟

استخدام لاستعاد والبحث عن المعنى

المفهوم الفرنسي استخدم ازدهار والتغير عند النظر

وضع مجموعه من الخيارات ومحاولة الوصول لحلب الموضع

التوازن

DE

تفكيك

يجب ان يكون خفر الراسماليه

اعادة

هل هو نمو ؟ او اقتصادي

لايجب ان يكون غير محدود

الانفصال الإقتصادي

التفاعل الاقتصادي

فجر حمامك القديم

النمو المتخدم

النمو العادل

تحديد النمو

النمو الطبيعه

لا للنمو

النظريه لم تشرح اوتوجد بديل

النمو المحكوم

استخدم العالم فكره الهدنه في تسمية المصطلح

يجب ان نفهم كل جوانب الموضوع حتى تتمكن من الترجمة السليمه

يجب الترجمة

هل من المهم حاليا الاهتمام بترجمة الكلمه ولكن ابحث عن الايجابيات والسلبيات والاثر

المستقبل

DE GROWTH

١

الباب الأول:
اللغة وعاء الفكر

"إنت بتقول ايه؟"

"إنت بتقول ايه؟"

عندما شرعنا في التحضير لموضوع هذه النسخة من المختبر، كان سؤال كيفية نقل مصطلح الـ degrowth إلى العربية من أول الأسئلة التي طرحناها وشرعنا في التفكير فيها. حاولنا الاستفادة من خلفياتنا العلمية والمهنية المختلفة كفريق عمل، وأيضًا خلفياتنا اللغوية المختلفة باعتبارنا متحدثين بالعربية، لغتنا الأم، ونجيد الإنجليزية، لغة معظم الكتابات حول الموضوع، والفرنسية، حيث كُتب عن المفهوم أولاً. واستشرنا أيضًا أصدقاء/ صديقات وزملاء/ زميلات ومتخصصين/ات من خلفيات مختلفة ذات صلة- اقتصاد وبيئة واجتماع وعمران، بالإضافة إلى اللغويات والترجمة.

بعد التنقيب عن المحتوى العربي- القليل جدًا عن الموضوع- توصلنا إلى قائمة مُطوَّلة من الخيارات والاقتراحات. عكفنا على التحقق من التضمينات العربية لكل مصطلح ومدى عكسه لروح مفهوم الـdegrowth كما فهمناه ونحاول تقديمه. ثم لجأنا إلى نظرية الاستبعاد للتوصل إلى قائمة قصيرة من الترجمات المُقترحة كمسودة تخضع لإعادة الزيارة والمراجعة والتحديث باستمرار: تقليص النمو، تقليل النمو، النمو السلبي، الانكماش، النمو البديل، انحسار النمو، إعادة توجيه النمو، تغيير مسار النمو... بعد مناقشات مُطولة، استقرينا على استخدام "تفكيك النمو" لأغراض ترجمة مقال جاسون هيكل (في الملحق)، حيث أن البادئة de تماثل البادئة في مفهوم deconstruction بمعنى تفكيك، وهو الأنسب للمعنى حسب فهمنا. واتفقنا على طرح الموضوع للنقاش خلال جلسات المختبر. اقترح المشاركون/ات- على نفس المنوال- بدائل أخرى بحسب تعاطيهم/ن مع المفهوم: ترشيد النمو/ النمو الرشيد، النمو المتكامل، ارتداد النمو/ ارتداد اقتصادي، النمو المتوازن/ المعتدل، اعتدال النمو، تجديد النمو، اللانمو، تخفيف النمو، إعادة هيكلة النمو، النمو الإيجابي، ضبط النمو/ النمو المنضبط، حسر النمو، تحجيم النمو، تباطؤ النمو، تسونامي النمو، النمو الخفي... اتفقنا على عدم توحيد الترجمة وترك المساحة للمشاركين للتعاطي مع المفهوم معنى واصطلاحا بدون توجيه.

لذا، يتنوع استخدام المصطلحات في كتابات المشاركين/ات كما سترون، والعديد منها تتناول هذه الإشكالية باستفاضة في مسعى للإسهام في منتج معرفي بالعربية حول المفهوم. على الجانب الآخر فضَّل البعض تجاهل النقاشات الفنية عن الترجمة الأدق وشرعوا/ن بالقفز فوراً إلى نقاشات التطبيق والمفهوم ذاته. فعلى سبيل المثال، قررت إحدى المشاركات ترجمة المصطلح إلى «نستهدى بالله»، وقد تكون هذه الترجمة هي أولى الاشتباكات مع المفهوم من موضعنا العالمي.

بين النمو وحسره:
ماذا لو "نما" كورنيش المنيا؟

عبد الله ربيع

بين النمو وحسره: ماذا لو «نما» كورنيش المنيا؟

قبل الحديث عن تخفيف النمو، أو حسره، أو إعادة توجيهه، أو إيقافه- وكلها ترجمات مختلفة لنفس المصطلح الإنجليزي Degrowth- (جيسون هيكل، ٢٠١٩)- يجب تذكُر ماهية النمو الاقتصادي المقصود حسرُه، وهو المفهوم المقترِن بماهية الاقتصاد نفسه. يتلخص اقتصاد الدول- بمفهومه التطبيقي المنتشـر- بإجمالي الأنشطة التي تُساهِم في إنتاج الخدمات والمنتجات التي يُمكِن تداولها وبيعها واستهلاكها مقابل عائدٍ مادي؛ ذلك هو التعريف المُبسط والمنتشِر. ويُقاس حجم الاقتصاد بإجمالي الناتج المحلي الذي يحدد إجمال قيمة المنتجات والخدمات التي تنتجها دولة ما، ناقَص ما تستورده الدولة من خدمات ومنتجات. حجم الاقتصاد ببساطة، هو حَجم الإنتاج بكافة أنواعه مطروحًا منه حجم الاستهلاك بكافّة أنواعه. أما النمو فيُقاس في الغالبية العظمى من الأمم بمقدار الزيادة في إجمالي الناتج المحلي في زمنٍ ما. والجدير بالذكر هُنا، أنه يُنظَر للنمو الاقتصادي كحل أول وأخير للأزمات الاجتماعية والاقتصادية وتلبية احتياجات الشعوب. فالنمو هو الحل لخلق فرَص عمَل، وجذب استثمارات، وسد عجز الموازنة، وزيادة الأجور، وإسعاد الأفراد... إلخ. لكن كيف يُطبّق مفهوم النمو على المساحات العامة والخضراء خاصةً في مدينـة المنيا؟

النيل والهضبة من كورنيش مدينة المنيا، ٢٠٢٤.

يُشكِّل كورنيش النيل في مدينة المنيا جزءًا كبيرًا من وجدان سكان المدينة والمحافظة بأكملها، وينعكس بخضاره واتساعه على ذاكرة أفراد المدينة. كفرد من هؤلاء، حين انتقلت للقاهرة كضرورة للتعلم والعمَل، أدركت حَجم الذي فقدتُه بسبب ندرة تلك المساحات المفتوحة في القاهرة، ووجود أسوار حولها في معظم الأحيان. توحي الكثير من الأسوار بأن ما خلفها «خاصّ»، ليس للجميع، وقطعًا ليس مجانـيًا. أسوار عالية، معتِمة، بالكاد يُستطاع تمييز بعض الأشجار والنخيل التي تظهر من فوقَها. تظهَر قيمة تلك المسطّحات والمساحات العامة، بطبيعة الحال، عند فقدانها. وتكتظّ الأبحاث العلمية ومواثيق حقوق الإنسان، بأهمية تلك المسطحات للإنسان والبيئة وسلامة المجتمع والمدينة، لا سيما في مواجهة التغيرات المناخية والبيئية.

وتُعد المساحات العامة المفتوحة جزءًا أساسيًا من حقوق الإنسان، بما يُعرف بحق الأفراد في الوصول إلى مساحات طبيعية مشتركة تُمكّنهم من الترفيه والاسترخاء والتفاعل الاجتماعي دون تمييز أو رسوم. وفي مواجهة الاحتباس الحراري، قدّرَت الأمم المتحدة أقل نصيب للفرد في المساحات الخضراء بـ٦ أمتار لكل فَرد في المدينة (دي كاجنو وكونجلياروا، ٢٠٢٣). المساحات الخضراء تحسِّن من جودة الحياة والصحة النفسية والجسدية للفرد وللمجتمع، وتعزز العدالة الاجتماعية من خلال توفير بيئة شاملة للجميع (روبيل، ٢٠١٧). عندما تصبح هذه المساحات مدفوعة أو مغلقة، يُحرم الأفراد ذوو الدخل المحدود من حقهم في التمتع بهذه الموارد.

كل بضعة أعوام يتم إغلاق أجزاء من كورنيش مدينة المنيا بغرض «التطويـر». وقُبيل إعادة الافتتاح، تسري الشائعات في المدينة بأن الكورنيش لن يكون مجانيًا ومفتوحًا للجميع؛ ستكون له بوابات ويتطلب الدخول إليه دفع رسومًا تتراوح في قيمتها على حسب راوي الإشاعة: جنيه، اتنين جنيه، خمسة جنيهات للفرد، وهكذا حتى عشرون جنيهًا، وهو مبلَغ كبير جدًا في مدينة تتراوح فيها أجرة التاكسي لسنة ٢٠٢٤ في أغلب المشاوير العادية بين ١٠ جنيهات لـ١٥ جنيهًا، برغم ارتفاع أسعار الوقود للمرة الثالثة في نفس السنة* (العربية.نت، ٢٠٢٤). لكن، سُرعان ما يعاود الكورنيش فتح أبوابه للجميع؛ مجانيًا كما عهدناه. وفي كل مرة، أتساءل، ماذا لو تحققت الشائعات؟ ماذا لو لم «نمـا» كورنيش المنيا ولم يعُد مفتوحًا ومجانيًا وللجميع؟ ويلتحم تساؤلي بآخر: من أين تنبثق

شائعات «الإغلاق» و«التخصيص» في كل مرة؟ هذه المقالة محاولة لتفكيك تساؤلاتي والإجابة عنها في ضوء أطروحة «حَسر النمو- Degrowth» التي بدأ التنظير لها مطلع القرن الجاري.

إعادة افتتاح كورنيش المنيا بعد أعمال التطوير (صفحة مجلس الوزراء، ٢٠٢٤)

ارتفعت أسعار الوقود في ٢٠٢٤ ليصبح السعر الجديد ١٧ جنيه لكل لتر بنزين ٩٥، ونحو ١٥,٢٥ لبنزين ٩٢، و١٣,٧٥ جنيه لبنزين ٨٠. كما زاد سعر السولار إلى ١٣,٥٠ جنيه لكل لتر، وسعر الكيروسين إلى ١٣,٥٠ جنيه لكل لتر. وقال رئيس الوزراء مصطفى مدبولي في يوليو ٢٠٢٤ إن أسعار المنتجات البترولية سترتفع تدريجياً حتى نهاية عام ٢٠٢٥.

ماذا لو «نمـا» كورنيـش مدينة المنيا؟

يثير تكرار الشائعات عن فرض رسوم على دخول كورنيش المنيا (مدينة المنيا) تساؤلات حقيقية: ماذا لو تحولت هذه المساحة إلى خدمات خاصة مدفوعة؟ أو جرى تخصيصها للشركات والكافيهات والمنتجعات الخاصة و«تسييجها» كما هو الحال في فنادق آخر الكورنيش من جهة الشمال (بَحَري).

يمكن تخيل هذا السيناريو، وإن لم يحدث حتى الآن، لتسليط الضوء على حالات مشابهة في أماكن أخرى من مصر، ولتقدير قيمة المساحات الخضراء المفتوحة للجميع وإدراك المخاطِر القادمة إذا ما استمرت سياسات «النمو» و«الخصخصة» التي تنتهجها الحكومة. مثلًا، شهدت الكثير من المساحات المشابهة في الإسكندرية والقاهرة عمليات متكررة من الخصخصة، والإغلاق، و«التطوير»، ثم إعادة فتح بعضها للجمهور برسوم دخول أو غلقها تمامًا أمام الجمهور لتخدم فئة معينة. في كل الأحوال، لم تعد تلك الأماكن ملكًا للجميع.

ويمكن فهم كيفية حدوث ذلك والمغزى من وراءه في ضوء عدة مفاهيم مرتبطة بالممارسات الرأسمالية و«الخصخصة» التي تجتاح مدُن مَصر منذ بدء الانفتاح الاقتصادي في سبعينيات القرن الماضي بمعدلاتٍ مختلفة، ويزداد تسارُعها مع خضُوع مصر لشروط البنك الدولي في المزيد من رفع الدعم وتحقيق الخصخصة والانفتاح الاقتصادي غير المُسيطر عليه من الحكومة كما هو الحال في الآونة الأخيرة. يبدأ السيناريو عادةً بالإغلاق في وجه الجمهور، بغرض التطوير أو التحسين أو أي غرَض مُعلَن عنه لتجهيز العامة لفكرة زوال مجانية المكان وتحتُّم دفع رسوم بشكل أو بآخر بعد إعادة فتحُه للجمهور. قد يكون الإغلاق رمزيًا، أو يصحبُه تسييج فعلي (بناء أسوار) للمكان لمنع العامة من الدخول إليه دون رسوم، وكذلك لحماية الخاصة من دافعي الرسوم للتمتع بالمكان.

طِبقًا لهيكيل (٢٠١٩)؛ أحد منظري «حسر النمو»، يُمارِس رأس المال الخاص الإغلاق والتسييج لهدف ظاهِر وآخر باطِن. الظاهر هو استقاء الرأسمالية للقيمة، التي سيتم بيعها لاحِقًا، من الطبيعة. أي من الموارِد الموجودة والتي كانت متاحة للجميع قبل عملية الإغلاق، والمتمثلة في هذه الحالة في المساحات الخضراء المفتوحة، في النيل ومظهره الجمالي، في الجبل، أو في البحر في حالة كورنيش الإسكندرية. هذه القيمة الطبيعية المفترض كونها ملكًا للجميع، لأنها جزء من البيئة والطبيعة، لن تعود كذلك، ليتمكن رأس المال الخاص من امتلاكها وإعادة بيعها لنفس الجمهور مقابل تحقيق الربح للمُلّاك الجدُد. ويحدث ذلك لهدف آخر باطِن، وهو تخليق «الندرة الاصطناعية»، فالسلع الموجودة بكثرة في السوق (عرض) لن تُلاقي رواجًا في البيع ولن تحقق أرباحًا مجزية (عند الطلب). والحلّ كَما درَجَت لغة السوق المصرية يأتي «بتعطيش السوق»، أي السيطرة على

العرض لرفع سعر السلعة وخلق الطلب. وفي حالة سيناريو كورنيش المنيا، يكون تعطيش السوق بخلق ندرة اصطناعية في المساحات الخضراء المفتوحة الهادئة المطلة على النيل ومن وراءِهِ الهضبة الشهيرة، الهضبة التي بدأت خصخصة أجزاء منها بالفِعل لصالح شركة منتجعات سياحية كبيرة (إسكان مصر، ٢٠١٩).

«نمـو» كورنيش الإسكندرية

في ورقة بحثية صادِرة عن مركز الإنسان والمدينة للأبحاث الإنسانية والاجتماعية بعنوان «كورنيش الإسكندرية والحق في الرؤية»، يَستعرض المركز خرائط توضيحية تُبين التطور الزمني للتوغل العمراني و«الخصخصة» على طول كورنيش الإسكندرية في العِقد الأخير، لنَجد، كما هو موضح في شكل (١ و٢)، تغول العمران، والأملاك الخاصة، على ما كان ملكًا لسكان المدينة، والسياح من المدن الأخرى، بشكل عنيف ومتسارِع في معظم الأحيان. كما يُوضّح شكل (٣) لمدى التزام المنشآت والمقاهي والنوادي والفنادق وأماكن انتظار السيارات بمعايير الإنشاء والبناء التي تتيح للمواطنين رؤية البحر، أن نسبة قليلة من المنشآت الجديدة تلتزم بتلك المعايير القانونية التي شرِّعَت لتضمن لسكان المدينة الحق في رؤية البَحـــر.

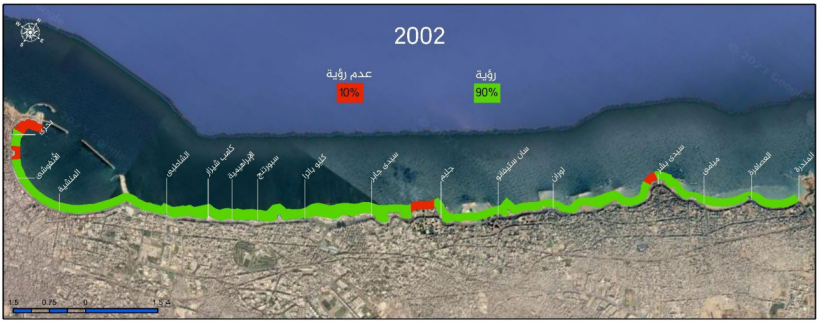

شكل رقم (١) يوضح نسب رؤية البحر في ٢٠٠٢. (الإنسان والمدينة، ٢٠٢٤)

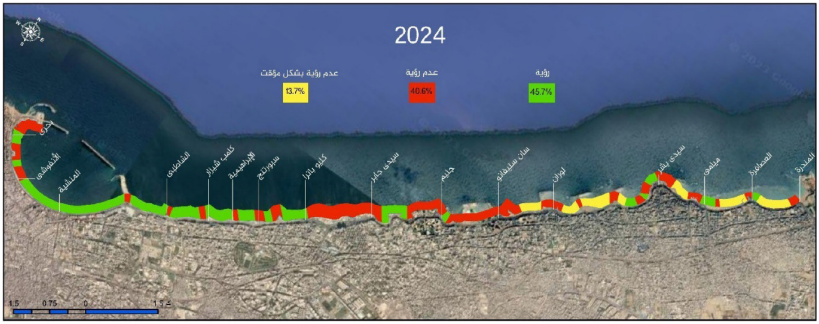

شكل رقم (٢) يوضح نسب رؤية البحر في ٢٠٢٤. (الإنسان والمدينة، ٢٠٢٤)

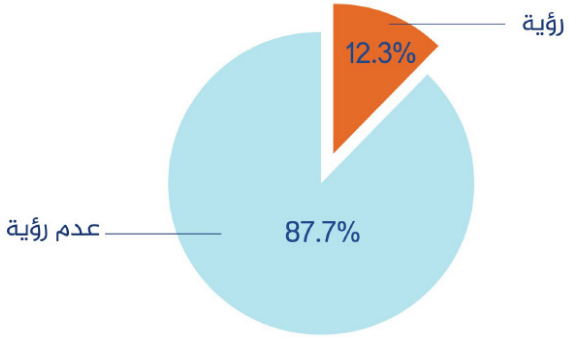

شكل (٣): نسبة الرؤية المتاحة من خلال النوادي والمقاهي والفنادق وأماكن انتظار السيارات.
(الإنسان والمدينة، ٢٠٢٤)

يمكنك تفقُّد أمثلة أخرى للإغلاق وتسييج المساحات الخضراء والعامة في القاهرة كما هو الحال في «حديقة الزهرية»: بين عَريضة إلكترونية ونَفي رسمي.. ماذا يحدُث في «الزهرية؟» في المصادِر.

من أين تنبثق الشائعات؟ وكيف نقاوِم؟

تأتي الشائعات كوسيلة لمقاومة هاجِس أو خوف ما، وتكتسب رواجها من انتشار هذا الهاجِس أو الخوف بين الجموع، كما تُشكِّل إنذار مبكر تحذيري لخطَرٍ قادم. وبذلك فهي تفتَح مساحة للتعبير عن رأي الجموع في كيفية التعاطي مع هذا الخطَر. وفي حالة شائعات خصخصة كورنيش المنيا، الهاجس هو فقدان ما اعتادتهُ مدينتا من الرفاهة التي يكفلها الكورنيش للجميع. خاصةً مع سهولة تذكرها وتخيل سيناريوهات الخصخصة والإغلاق بسبب تكرارها خاصةً في المدن الكبرى والوجهات السياحية كما نرَى في «نمو» كورنيش الإسكندرية حاليًا. يألف المصريون المبنى الحكومي الذي يتحول فجأة إلى فندق، والمكتبة العامة التي تتحول إلى جمعية أو مصلحة حكومية، والكورنيش الذي تغلق أجزاؤه «للتطوير» ثم تتحول إلى مساحات خاصةً تخدم مالكيها وتغلق وتسيج أمام الجمهور، أو تفتَح للجمهور برسوم دخول أو في صورة خدمات تقدمها جهات خاصةً بمقابِل مادي. عِندها، يتغيّر مفهوم الرفاهة لسكان المدينة ويتحول من نزهة مجانية على كورنيش مفتوح يكفل للجميع الحق في رؤية البحر واستنشاق هواءه كما هو الحال في الإسكندرية، أو النيل في حالة محافظات عدّة على الوادي منها المنيا.

أثناء الإغلاق الأخير المؤقت لكورنيش المنيا بِغيَّة التطوير، اضطر أبناء المدينة مؤقتًا لتغيير مفهومهم عن الرفاهة وكيفية ممارساتها. فتحولت الخروجات والنزهات إلى الأماكِن الخاصة؛ الكافيهات، السينمات، والتمشية على الرصيف الضيّق، والتسكّع في الأماكن التي لم تُغلق من الكورنيش. هُنا تغير مفهوم الرفاهة لدى المجتمع الذي تتحدث عنه أطروحة حسر النمو، ويتعيّن على المجتمع في هذه الحالة إعادة تعريف المفهوم. في حالة نمو الكورنيش، سيتحول الإغلاق المؤقت لتسييج دائم وخصخصة- على الأقل- لأجزاء من الكورنيش الذي كان مفتوحًا بأكمله للعامة. عندها يضطر الجمهور لتغيير مفهوم رفاهته وممارساته لها ليضمن استمرارية علاقته مع المساحات الخضراء ومع المياه (البحر أو النيل). بالطبع يتغير مفهوم الرفاهة هُنا نحو المفهوم الذي يفرضه

النمو؛ الدفع مقابِل القيمة التي كانت متاحة مجانًا قبل النمو. وذلك هو أحد أسباب أطروحة حسر النمو التي تنادي بحسر النمو وتضييق نطاقُه واستعادة كل جمهور للحق في تعريف مفهومه عن الرفاهة بعيدًا عن المفهوم الذي يفرضه النمو المستمر، الذي يستنزف البيئة ويزيد من الفروقات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع (هيكل، ٢٠١٩).

المصادر:

١. الإنسان والمدينة (٢٠٢٤). «المساحات الخضراء بالإسكندرية بين ٢٠١٣ و٢٠٢٣ | دراسة خرائطية». مركز الإنسان والمدينة للأبحاث الإنسانية والاجتماعية. ٣ فبراير ٢٠٢٤. متاح على: https://bit.ly/Alex-Greenery

٢. الإنسان والمدينة (٢٠٢٤). «كورنيش الإسكندرية والحق في الرؤية». مركز الإنسان والمدينة للأبحاث الإنسانية والاجتماعية. https://doi.org/10.1111/anti.12143 الإصدارة ٤. متاح على: https://bit.ly/Alex-Corniche-See

٣. الإنسان والمدينة (٢٠٢٤). «ما فعَلَهُ التطوير بالأخضر». مركز الإنسان والمدينة للأبحاث الإنسانية والاجتماعية. ١٥ فبراير ٢٠٢٤. متاح على: https://bit.ly/Tatweer-Akhdar

٤. الصفحة الرسمية لمجلس الوزراء على فيسبوك (٢٠٢٤). «تطوير كورنيش المنيا - المنيا». فيديو فيسبوك. ٢٦ مارس ٢٠٢٤. متاح على: https://www.facebook.com/watch/?v=1961486427600270

٥. العربية.نت (٢٠٢٤). «مصر ترفَع أسعار الوقود بنسبة تصِل إلى ١٧٪ للمرة الثالثة هذا العام». العربية.نت. ١٨ أكتوبر ٢٠٢٤». مُتاح على: https://bit.ly/fuel-egypt

٦. إسكان مصر (٢٠١٩). «التفاصيل الكاملة لمشروع بورتو جروب بالمنيا الجديدة». إسكان مصر / عقارات. ١٧ يناير ٢٠١٩. مُتـاح على: https://bit.ly/3YtuD5r

٧. صفحة «الساحة» على الفيسبوك (٢٠٢٤). «بين عَريضة إلكترونية ونَفي رسمي.. ماذا يحدُث في «الزهرية»؟». الساحة على فيسبوك. ٧ أكتوبر ٢٠٢٤. متاح على: https://bit.ly/zohreyya-closure

٨. صفحة برنامج «إيه الحكاية» على الفيسبوك (٢٠٢٤). «حديقة الزهرية.. هل تُغلق آخر واحة خضراء في الزمالك بداعي التطوير؟». فيديو. برنامج إيه الحكاية على فيسبوك. ٨ أكتوبر ٢٠٢٤. متاح على: https://bit.ly/zohreyya

٩. عامر جروب (٢٠٢٠). «تماشياً رؤية الدولة لتنمية الصعيد... عامر جروب تسابق الزمن في مشروع بورتو المنيـــا». عامر جروب/مدونة. متاح على: https://bit.ly/Amer-Group

١٠. مركز توثيق التراث الحضاري والطبيعي بمكتبة الإسكندرية (٢٠٢٤). «**«حديقة الزهرية»... فيلم يوثّق حكايات أقدم الأشجار في مصر**». مكتبة الإسكندرية. ١١ سبتمبر ٢٠٢٤. مُتاح على: https://www.cultnat.org/NewsDetails/522/

١١. ناتالي روبيل (٢٠١٧). «المساحات الخضراء: مورد قيّم لتوفير الصحة الاجتماعية المستدامة». وقائع الأمم المتحدة. ٣ فبراير ٢٠١٧. متاح على: https://bit.ly/3UmFdbV

١١. نورهان الكلاوي (٢٠٢٤). «تزينت بأندر أنواع النباتات في عهد الخديوي إسماعيل.. ما حكاية حديقة الزهرية بالقاهرة في مصر؟». سي إن إن بالعربية. ٢٣ يناير ٢٠٢٠. متاح على: https://arabic.cnn.com/travel/article/2020/01/23/el-zohriya-garden-zamalik-cairo

12. Alvaro Sevilla-Buitrago (2015). "Capitalist Formations of Enclosure: Space and the Extinction of the Commons". Antipode: A Radical Journal of Geography, Volume 47, Issue 4, September 2015, Pages 999-1020. Available at: https://doi.org/10.1111/anti.12143

13. Economic Library. "Economic Growth". Available at: https://www.econlib.org/library/Topics/College/economicgrowth.html

14. Jason Hickel (2019). "Degrowth: A theory of radical abundance". Real-world Economics Review, issue no. 87, 19 March, pp. 54-68. Available at: https://www.socioeco.org/bdf_fiche-document-7015_en.html

15. Borelli, S., Conigliaro, M., Di Cagno, F. (2023). "Urban Forests: A Global Perspective". United Nations Food and Agriculture Organization. Available at: https://doi.org/10.4060/cc8216en

قبل الطوفان

جنة عادل

قبل الطوفان

اهدم دارك، ابن سفينة
اترك الثروة، واسع إلى الحياة
تخلّ عمّا تملك، وانجُ بنفسك

اللوح الحادي عشر من ألواح ملحمة جلجامش
ترجمة عبد الغفار مكاوي

نتنزل كلمات إيا، إله النهر والحكمة والشعر وأكبر مناصري البشرية في البانثيون السومري، على الملك أوتنابشتيم ابن أبار، أحد ملوك العراق القديمة والمعادل السومري للنبي نوح، لتحذره من طوفان قادم سيمحو الأرض وكل ما عليها. لا يشغل الملك باله بالدعوة والحشد، فقط يطيع الأمر فينجو، وبنجاته يبدأ العالم من جديد.

"عم نتحدّث حين نتحدّث عن" الـdegrowth؟"

يمتد النقاش حول الترجمة العربية الأنسب للمصطلح لنحو ساعتين تقريبًا. نتناقش، نفاضل بين الترجمات الموجودة، نتوخى النزاهة، ونراوغ، جهد استطاعتنا، الترجمات ذات الإيحاءات والتضمينات المُنفرة. تفكيك النمو؟ تخفيف النمو؟ توجيه النمو؟

يشغلني السؤال من قبل النقاش بأيام. في ضوء انطباعاتي الأولى، أميل لترشيد النمو، كون الرشادة هي نقيض الإسراف، وكون العداء في حراك الـdegrowth- بحسب فهمي- هو عداء مع الإسراف، لا مع النمو نفسه. هي دعوة مفتوحة لنتمهل و«نستهدى بالله».

نتناقش أكثر، نقرأ أكثر، وتتضح الفكرة أكثر. هذا الحراك يهدف لإيقاف النمو فعلًا، والبحث عن

نموذج جديد للمضيّ قدمًا. أميل في ضوء فهمي الجديد للفظ «اللانمو»، وسأستخدمه لبقية المقال؛ إذ لا معنى للّف والدوران. اللفظة الإنجليزية تعتمد على وقعها الصادم نفسه في إثارة الجدل وجذب مزيد من الانتباه لنفسها، ولو كلفها ذلك بعض قدرتها على الحشد؛ إذ يبدو خطاب اللانمو، بشكل مجرد تمامًا، دعوة للتخلّي عما نعرفه ونملكه ونستخدمه، لخلق عالم جديد. وإذًا بمعنى ما، هو في جوهره صورة جديدة لدعوة الإله السومري: «اترك الثروة واسع إلى الحياة، تخلّ عما تملك وانجُ بنفسك».

"ولما رأى الإسكندر امتداد سلطانه بكى، لأنه لم يعُد ثمّ عوالم ليغزوها"

تُقسِّم فلسفة اللانمو العالم إلى فريقين: شمال عالمي حقق معدلات نمو شرسة ومازال يسعى لتحقيق المزيد، وجنوب عالمي لم يحقق هذا النمو بعد، لكنه يحاول جاهدًا اللحاق بالشمال. خطاب اللانمو يُذكِّر الجميع بأن النمو الحالي لم يكن ممكنًا أصلًا إلا باستنزاف الموارد (سواء بنهب الشمال لثروات الجنوب، أو بتسييج الشمال لموارده نفسها، وحرمان سواد ناسه منها لصالح قلة مستفيدة ومهيمنة). يذكرنا أيضًا بأن استمرار النمو لم يعد ممكنًا أصلًا بسبب التغيرات المناخية التي تهدد استمرار البشرية نفسها. بهذا المعنى، تساوم حركة اللانمو البشرية- كلها- على بقائها.

من هذه النقطة، ينقسم الخطاب ليطالب الشمال العالمي بإيقاف نموّه، والجنوب العالمي بإيقاف مساعيه للنمو، ويطالب البشرية، ككل، بتوزيع إنتاجها بمزيدٍ من العدالة، وبوضع تصورات جديدة لسعة العيش والحياة الإنسانية الكريمة خارج التصورات التي وضعتنا جميعًا على أعتاب طوفانٍ جديد- حرفيًا.

في النسخة القرآنية من حكايات الطوفان، يمضي نوح ألف عام إلا خمسين في تحذير قومه من المصيبة القادمة، فلا يلقى سوى سخرية وتكذيب مستمرين. حتى ابنه يرفض الاستماع إليه، ويقرر اللجوء لجبل، أملًا في أن يعصمه من الماء، ويقيه شر التشرد في السفينة، ثم بدء الحضارة الإنسانية مرة أخرى من نقطة الصفر. بأثرٍ رجعي، يبدو هذا بديهيًا، فحكايات الفناء، في العموم، ليست جذابة جدًا. كانت دعوة نوح صعبة البلع، تمامًا كخطاب اللانمو.

الرأسمالية تعدكم السعادة، بينما يصيح اللانمو"لا تحلموا بعالم سعيد"

أفن سنواتك الأجمل في ظروف عمل غير آدمية، وتخفف من علاقاتك الاجتماعية وأعباءها منخفضة العائد، وتعالَ فردًا وخذ حفنة من الدولارات ولنستشكف معًا معنى السعادة كسلعة. ملابس؟ مستحضرات تجميل؟ سيارات؟ أجازات في مناطق نائية مثيرة؟ حساب على إنستاجرام يفيض بصور عالية الجودة وملايين من المتابعين؟ مواعيد غرامية عبر تطبيقات تُرقمِن الحب والجنس وتسلعهما؟ كله موجود وكله بثمنه. مازلت تعيسًا؟ طبيعي. ادفع مئات الدولارات في جلسات علاج نفسي لتجلس مع غريب تشكو له الوحدة والقلق وانعدام المعنى. ما زلت بائسًا؟ ممتاز. اشترِ دورة تدريبية عن آخر أساليب التأمل واليقظة الذهنية، بل اشترِ عطلة روحانية لتقابل شامان عجوز في غابات الأمازون وسيأخذك من يدك لترى الله شخصيًا، وسيخبرك بسر الكون وجذور علّتك التي تمنعك من الشعور بالسعادة، لأن المشكلة فيك طبعًا. هذا هو الوعد الرأسمالي، وهو وعد تفشل الرأسمالية في الوفاء به بالطبع، لكنها لا تفشل أبدًا في إعادة خلقه وتسويقه واستخدامه لضخ المزيد من الوقود البشري في آلتها الشرسة.

المناهضون لفكرة اللانمو يعلنون خوفهم من تطبيقاتها، يتحدثون عن سياسات قمعية شمولية وعالمية فيما يتعلق بالتصنيع والعمل واستخدامات الطاقة والتكنولوجيا وهوامش الرفاهية التي تتركها للأفراد والمجتمعات. الاعتراضات- على ميلها للمبالغة- لا تخلو من وجاهة، فاللانمو- كفلسفة مناهضة للرأسمالية بالأساس- يهدم الوعد الرأسمالي ويطالب الفئات المتضررة منه باستخدام خيالها في خلق تصورات جديدة وأصيلة عن السعادة. نحن إذًا لا نتحدث عن محض القلق من وعد ضبابي بحياة علينا اختراعها أولًا، بل عن شعور حقيقي بالغُبن. بأنك دفعت ثمنًا باهظًا في حياة لن تعيشها أبدًا، لأنها- إن نجح اللانمو في مساعيه- لن تصبح ممكنة أصلًا، لا في الجنوب ولا في الشمال ولا في أي مكان.

هل يرى اللانمو عاملات مصنع سمنود للوبريات؟

أفكر في عاملات مصنع سمنود للوبريات اللاتي يشترين الدجاج بالقسط بعدما وصلن لمرحلة غير مسبوقة من الفقر المدقع. بعضهن يعمل في المصنع منذ ١٧ سنة براتب ٣٥٠٠ جنيه، أي ٧٢ دولار. أتمت العاملات شهر من الإضراب عن العمل تحاربه إدارة المصنع- تحت رعاية الدولة-

يطالب بتطبيق الحد الأدنى للأجور والمقرر بـ٦٠٠٠ جنيه مصري، أو ١٢٤ دولار عن كل شهر عمل. خلال الإضراب أُعتقلت أربعة منهن من بيوتهن فجرًا وبملابس البيت. صفع الضابط طفل إحداهن حين حاول التشبث بوالدته. أُخفين قسريًا لأربعة أيام قبل أن يظهرن في النيابة لتوجه لهن قائمة تهم طويلة استوقفني منها «إلحاق ضرر جسيم بمركز البلاد الاقتصادي»، ثم أخلي سبيلهن بكفالة ١٠٠٠ جنيه، ليكتشفن أنهن قد أوقفن عن العمل بسبب القضية. لم يتقاض عمال وعاملات وبريات سمنود أجرهم عن آخر شهر عمل قبل الإضراب، وهم الآن تحت رقابة مشددة، ممنوعون وممنوعات من الوصول للصحافة، وقضيتهم خاضعة لتعتيم إعلامي تام.

يدعو خطاب اللانمو المجتمعات الإنسانية عامة والمجتمعات الأفقر بشكل خاص لإعادة تعريف احتياجاتها الحقيقية بعيدًا عن التصورات الرأسمالية المخادعة، وهو ما اتفق معه تمامًا باستثناء أن خلق تصورات جديدة عن الرفاه وطيب الحال والحياة الكريمة يغدو مستحيلاً في ظل أنظمة قمعية تخلق الفقر وتُعيد إنتاجه، وكل هذا تحت تهديد خطر مناخي محدق لا يسع المرء أمامه سوى التفكير في النجاة اليومية، وأخذ العالم على علّاته، لا إعادة هندسته.

فيه ناس كتيرة أكل عيشها الأزمة

مصطفى إبراهيم؛ شاعر مصري

صعوبة «بيع» اللانمو، كفكرة، للفئات الأكثر استنزافًا لا تقارن بصعوبة بيعه للفئات الأكثر استفادة من الوضع الحالي، في الشمال العالمي والجنوب على السواء. لن يتخلى هؤلاء عن امتيازاتهم أبدًا. وتمامًا كابن نوح، سيحتمون بجبلٍ من الثروات والامتيازات المحمية بقوة التشريعات والسلاح لإمضاء أيامهم الباقية في أمان ورفاهية، بعيدًا عن صراخ الغرقى.

يفكك اللانمو مفهوم الندرة ويشير بأصابع قوية لدور الخصخصة والتسييج في انتزاع المشاع، ثم إعادة تقديمه كسلعة، وهو ما لا أحتاج لأطروحات مُنظّر مناخي لفهمه. في القاهرة مثلًا، تستبدل الدولة المرافق العامة بالكافيهات وقاعات الأفراح ومحطات البنزين، بحيث يتحول الجلوس على العشب أو مراقبة الغروب على النيل أو محض المشي في أرض الله إلى خدمة مدفوعة. تقطع الأشجار جزافًا

بحيث تصبح المساحات الخضراء في المدينة سلعة بحد ذاتها، غير موجودة إلا في مجتمعات إسكانية مُسوَّرة تباع بأضعاف قيمتها الحقيقية، ليصب الربح في حسابات شركات المقاولات والمطورين العقاريين وشركائهم من ذوي المناصب الحساسة في الدولة. ترفع الدعم عن الخدمات الأساسية- الصحة والتعليم مثالًا- لتخلق ندرة لا يمكن التعامل معها إلا بالجري بسرعة أكبر في عجلة النمو. في كل هذا، تنجح الدولة في خلق وتغذية طبقة جديدة من الحلفاء تدين بالولاء للنظام الحالي، وتدافع باستماتة عن بقائه الذي صار مقترنًا ببقائها. هل يرى اللانمو هؤلاء؟ كيف يخاطبهم بالضبط؟ هل يراهن على صحوة ضمير مفاجئة، لم تلتفت للأجيال الموجودة فعلًا لكنها ستلتفت، بمعجزة ما، لأجيال لم تأتِ بعد؟

يا عمّ شوط!

أبحث عن الترجمة الأفضل لكلمة anticlimactic. أفتح جوجل- عملاق رأسمالي آخر أتمنى زواله وأعجز تمامًا عن تصور حياتي بدونه- بحثًا عن ترجمة عربية مناسبة، وللمفارقة، يقترح عليّ لفظة «مضاد للمناخ». ترجمة رديئة ونكتة حلوة.

أبحث عن الكلمة لأنها تُلخِص انطباعي العام عن خطاب اللانمو في طوره الحالي. يبدأ الخطاب بنبرة ثورية راديكالية، تريد هدم العالم وإعادة بنائه بشكل أكثر عدالة وإنسانية، لكنه ما إن يطرح رؤيته لتحقيق ذلك حتى يتراجع لمساحة إصلاحية حذرة ومهزوزة، مُحبِطة جدًا. يقطع الملعب ركضًا ومناورةً ليضع الكرة أمام المرمى تمامًا، لكنه لا يسدد.

سيولة متجاوزة للقوميات

يقوم خطاب اللانمو على انقسام العالم إلى شمال نما وجنوب يحاول، وإذًا فهو لا يزال عالقًا في فكرة الدولة القومية كوحدة تعبر عن أوضاع سكانها ونطاقات تأثيرهم واستفادتهم من الوضع الراهن أو تضررهم منه، وبالتالي دورهم في إصلاحه. يبدو هذا صحيحًا إن اقتصرت نظرتنا على أرقام الانبعاثات الكربونية وارتباطها بالناتج المحلي (وهو ما ينطلق اللانمو من نقده ويسعى لتجاوزه كليًا)، لكن ماذا عن تفاوت الامتيازات وتراتبيات صناعة القرار داخل الإقليم الواحد والدولة الواحدة

والمدينة الواحدة؟ ماذا عن الشركات متعددة الجنسيات وتدفق رأس المال بين الشمال والجنوب؟ أين تقع دبي على هذه المسطرة مثلًا، والأهم أين يقع صندوق النقد الدولي؟ البنك الدولي؟ صندوق التجارة العالمي؟ الناتو؟ الكلّ هنا أكبر من مجموع أجزائه فعلًا، فتلك المؤسسات تُمثّل قوى وإرادات اقتصادية وسياسية تعيد إنتاج العالم بشكله الحالي، وتحكم الدول الأفقر، وتُوجِه مواردها لخدمة أجندات النمو، وتتجاوز فكرة الشمال والجنوب والشرق والغرب لحالة من السيولة التامة. شبكة معقدة من المصالح المشتركة تتجاوز الجغرافيا والقوميات، وإذًا على خطاب اللانمو تبني السيولة نفسها فيما يطرحه، إن كان جادًا في راديكاليته، مما يحتم، كخطوة أولى، المطالبة بإسقاط كل ديون الدول الفقيرة وتحريرها من سياسات الإفقار ورفع الدعم، التي تضمن خضوعها لأجندات النمو إلى مالا نهاية، وتفكيك صندوق النقد الدولي وبقية الصحبة الكريمة مرة واحدة وإلى الأبد.

ولكي أسمع العصافير يجب أن تخرس الطائرة

مروان مخول، شاعر فلسطيني

ما يفرضه صندوق النقد الدولي يُطبق- داخل الدول الفقيرة نفسها- تحت مظلة ديكتاتوريات عسكرية تصادر التفكير والإبداع والحريات، وتعتقل معارضيها أو تقتلهم أو تدفعهم دفعًا للمنفى، وتمنع الحوار المجتمعي ما إن يحاول حتى التفكير في عالمٍ بديل، بل وتذهب حد إشعال حروب أهلية لتسهّل نهب موارد تلك البلاد، فتضمن استمرارها في السلطة وفوقه تأخذ عمولتها- السودان والكونغو مثلًا. تفعل هذا بسلاح يوفره كبار اللاعبين باستمرار، للتأكد من استمرار اللعبة. بالتالي، لا يمكننا الحديث عن اللانمو بجدية دون الحديث عن نزع السلاح. لا بد من وضع مسألة نزع السلاح دوليًا في قلب خطاب اللانمو وفي صدارة أولوياته، كي يصبح له أي معنى. صناعة وتجارة السلاح هي أكبر محركات النمو، وهي صمام أمانه الأبدي، وما توفره نملة اللانمو في سنة سيأخذه جمل صناعة السلاح في خفّه.

منذ أشهر، لوّحت إسرائيل باستخدام سلاحها النووي للدفاع عن نفسها، أثناء إبادة تجري على مرأى ومسمع من الكلّ، ولم يرفع صنّاع القرار في العالم أصبعًا لتوبيخها حتى، بل ناصر الكثيرون- ومنهم

فلاسفة وأكاديميون وأناس نحسبهم على الله من العقلاء- حقها في «الدفاع عن نفسها»، فصباح الخير. الكلام عن كبح جماح النمو والتوزيع العادل لخيرات العالم والحضارة، وعن الخيال الإنساني الذي عليه الآن إعادة هندسة العالم، ليس ممكنًا في عالم تستمر قلة منه في احتكار قرار إفنائه، وتلوّح به- بمنتهى البجاحة- متى ارتأت ذلك مناسبًا. هنا يبدو استخدام حكاية طوفان التغيرات المناخية لتحجيم قوي عالمية بوسعها إفناء العالم بالفعل كاستراتيجية مضحكة قليلًا، كأن يذهب نوح لتحذير قومه من طوفان قادم، ليبتسم أحدهم كاشفًا عن زر صغير مكتوب عليه «ابدأ الطوفان».

الأطراف الرمادية

شروق علي

الأطراف الرمادية

الكل يتحدث عن طرفي الميزان وأنه يجب أن تنتمي إلى أحد تلك الأطراف (كفتي الميزان، أبيض أسود، اشتراكي رأسمالي...) ولكن ماذا عن المنتصف؟ ماذا عن الراكبين في منتصف السفينة الذين ينتمون إلى الرمادي؟

صورة أثناء إنشاء *The walk* - سيدي جابر

دائمًا ما أتوقف عند هذه الصورة وأتساءل عن مكاني فيها وتفسيري لها. قد تبدو كأقفاص أو تضفي شعورًا بالانعزال. ولكنها في الحقيقة لعمال أثناء بناء مجمع كافيات على كورنيش الإسكندرية ليحجب رؤية البحر على ملايين الناس ممن ليس لديهم القدرة المالية والاجتماعية على دخول هذا المجمع. ودائمًا ما يكون سؤالي: أين أنا في الصورة؟!

أول صوت يتردد في ذهني «أنت في وادي وأنا في وادي والسد اللي بيني وبينك عالي»(فريق المربع، أغنية «ما عندك خبر»)

لكن الحقيقة أني لا أشعر بالانتماء لأيٍ من تلك الأودية، الحقيقة إنني متعاطفة مع العامل، ومع الناس الغاضبة من منع رؤيتهم للبحر، وفي نفس الوقت أنا الشخص اللي هيروح الكافية ده في يوم من الأيام علشان صحابه. ودائمًا ما يغمرني صراع: أنا المفروض اعمل ايه؟

ولكن أين يذهب الواقفون في المنتصف؟

لا أريد أن ابني لأحفادي في المستقبل، وأعيش بهذا الإحساس بالذنب أنهم سيتحملوا أخطائي. ولا أريد أن أتحمل أخطاء آبائي.

هل من الممكن أن يكون اعتدال النمو منطقة وسط، منطقة يرتاح فيها الجميع، منطقة تتيح لهم أن يقفوا ولو قليلاً يلتقطوا أنفاسهم؟ أم سيكون طرف جديد وسد جديد بين وادي جديد، ويظل هؤلاء هائمون في المنتصف؟

اللون الرمادى
انا فى
وادى
وانت
فى
وادى والعيب
الى بيناهما فى
ضريبه
ابيض
و اسود
ماذا لو تركب
الحق فى النص
فى السفينه
الوسط لونه
رمادى !!!
انا فى الصوره
لكن كواشعر بأنتماء
لدى مكان داخل الدائره
هى الكل ولا رأيكم جديد
ورأيك فى المستقبل

بين تحديات التأقلم وفلسفة الـنمو الخفي

محمد عمر تقي ومحمود السيد

بين تحديات التأقلم وفلسفة النمو الخفي

نعيش في عصر أصبح فيه الخيال واقعًا، وما كنا نعده هرطقة أصبحنا نشعر به ونتحدث عنه، فقد عيشناه لسنواتٍ عدة. شهد العالم في الآونة الأخيرة زخمًا شديدًا حول قضايا التغيرات المناخية وأثرها على الكوكب. فظاهرة التغيرات المناخية الناتجة عن النشاط البشري تعد من أكثر التعقيدات التي يواجها الكوكب اليوم. تترك التغيرات المناخية بصمات طويلة الأمد على الكوكب، وهي نتيجة لتراكمات صناعية امتدت لقرون، خصوصًا منذ الثورة الصناعية التي شهدت انغماسًا في استخدام الوقود الأحفوري. هذا الاستخدام أدى إلى تراكم غازات دفيئة كثاني أكسيد الكربون والميثان، التي تحتجز الحرارة وتزيد من درجات الحرارة. استجابةً لذلك، بدأت الدول في التحرك لعقد مؤتمرات واتفاقيات للحد من الانبعاثات، لكن الآثار السلبية مستمرة، ما بين الجفاف والفيضانات وارتفاع درجات الحرارة وفقدان التنوع البيولوجي.

يعد قطاع الزراعة من أكثر القطاعات المتأثرة بالتغيرات المناخية[٢]، إذ يعتمد بشكل أساسي على الطبيعة بما تحمله من عوامل متعددة مثل الأمطار، درجات الحرارة، والرياح، والتي تؤثر بشكل مباشر على النشاط الزراعي. ومع التغيرات المناخية المتسارعة، يواجه هذا القطاع تحديًا كبيراً في تأمين الغذاء العالمي والحفاظ على الموارد الطبيعية، التي باتت مهددة بفعل الاستخدام المفرط وهشاشتها.

في الآونة الأخيرة تم تداول مصطلح أو مفهوم Degrowth قد يبدو في ظاهره وللوهلة الأولى

2- Mahmoud, M.A., 2017. "Impact of Climate Change on the Agricultural Sector in Egypt", in: Negm, A.M. (Ed.), *Conventional Water Resources and Agriculture in Egypt: The Handbook of Environmental Chemistry*. Springer International Publishing, Cham, pp. 213–227. https://doi.org/10.1007/698_2017_48

جديدًا براقًا، ولكن مع التفكير فيما يحمله في باطنه يتضح أنه أقرب لتطوير لمفاهيم انقرضت منذ عقود. رغم نبوع المفهوم من قلب العالم الأول/ الشمال العالمي/ الدول المتقدمة صناعيًا (كما التغيرات المناخية) فعلينا أن ندقق بشكل أعمق في ماهية استخدام المفهوم وتشكيله ووفقًا لأوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية وإمكانية ترسيخه في القطاع الزراعي لحل مشكلاته أو على وجه الدقة محاولات التأقلم مع التغيرات المناخية.

الDegrowth مفهوم هلامي يتشكل وفقًا للبيئة المحيطة به كالحرباء، يمكن أن نطلق عليه مصطلح «النمو الخفي» نظرًا لأنّه قد يبدو من النظرة الأولى ليس نموًا، إلا أنّه في الحقيقة يمثل شكلاً جديدا من النمو. وهو يُمثّل مفهوم اقتصادي واجتماعي يشير إلى تقليل النمو الاقتصادي والاستهلاك كجزء من استراتيجية لتحقيق الاستدامة البيئية والعدالة الاجتماعية. يهدف إلى الحد من الإفراط في استهلاك الموارد الطبيعية وتقليل التأثير البيئي الناتج عن النشاط الاقتصادي المفرط، مع تحسين جودة الحياة وتوزيع الموارد بشكل عادل بين جميع أفراد المجتمع. هذا المفهوم يتجاوز الرأسمالية التي تعتمد على زيادة الإنتاج والاستهلاك المستمر، ويُركّز على تقليل الإنتاج المفرط وترشيد الاستهلاك وفقًا للاحتياجات الفعلية، بهدف تحقيق توازن بيئي ومجتمعي يعيد الرفاهية إلى المجتمعات التي طالما عانت من ظلم النظام الرأسمالي. إنه يدعو لمراجعة عميقة للنموذج الاقتصادي العالمي، الذي أغفل العديد من الجوانب الهامة.

في المقالة محاولة لتفكيك فلسفة هذا المفهوم، وكيف يسهم في الحد من التلوث العالمي والتغيرات المناخية التي تؤثر بشكل مباشر على القطاعات الحيوية مثل الزراعة، التي تُمثّل دعامة الأمن الغذائي[٣] محليًا وعالميًا. في مصر، يُشكّل القطاع الزراعي ٢٠٪ من الناتج المحلي، ويُوفّر فرص عمل لنحو ٢٠٪ من الأيدي العاملة[٤]، وفقًا لبيانات البنك الدولي. ومع محدودية الأراضي الخصبة، تتعرض

٣- الأمن الغذائي هو الحالة التي يتمكن فيها جميع الأفراد في أي وقت من الحصول على غذاء كافٍ ومغذٍ وآمن يلبّي احتياجاتهم الغذائية وتفضيلاتهم الغذائية، مع ضمان الاستمرارية على المدى الطويل.

٤- خطة تنمية القطاع الزراعي المستهدفة ٢٠٢٣-٢٠٢٤، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، رئاسة مجلس الوزراء https://idsc.gov.eg/News/details/17398

الأراضي الزراعية القديمة في وادي النيل والدلتا للتقلص نتيجة ضغوط النظام الرأسمالي التي تدفع إلى تغيير أنماطها والبناء عليها.

كما تزيد التغيرات المناخية من التحديات التي تواجه الفلاحين المصريين، الذين يعانون من نقص المياه وارتفاع درجات الحرارة، مما يؤثر على جودة المحاصيل وإنتاجيتها.

أنا الفلاح المصري الأصيل

أنا ابن الدلتا ونهر النيل

ازرع القطن والزيتون والنخيل

واحصد الخير في وقت القليل

اسمع حكايتي واللي أنا فيه

السياق المحلي:

أولاً الفلاح:

يروي الفلاح المصري قصته مع ندرة المياه، حيث تعاني مصر من نقصًا حادًا في المياه نظرًا لمحدودية مواردها ووقعها تحت خط الفقر المائي، حيث يُمثِّل نصيب الفرد من المياه حوالي ٥٣٠ متر مكعب، في حين أن خط الفقر المائي هو ١٠٠٠ متر مكعب للفرد[٥]. ويعتمد الفلاح على نهر النيل كمورد أساسي بالإضافة إلى موارد أخرى متمثلة في مياه صرف زراعي معاد تدويرها، ومياه جوفية، ومياه أمطار بكميات قليلة، حيث تُوفِّر تلك المصادر حوالي ٨٠,٥ مليار متر مكعب من المياه سنويًا[٦]، لكن هذا ليس كافيًا. الزراعة تستهلك وحدها حوالي ٦١,٥ مليار متر مكعب، ومع التغيرات المناخية التي تزيد من موجات الجفاف والفيضانات، تتفاقم أزمة نقص المياه، ما يُؤثِّر على جودة التربة ويؤدي إلى تملحها.

٥- وزارة الموارد المائية والري

٦- استراتيجية تنمية وإدارة المواد المائية حتى عام ٢٠٥٠، وزارة الموارد المائية والري

ثانيًا المحاصيل:

كما أن ارتفاع درجات الحرارة يُؤثّر على بعض المحاصيل مثل القمح والطماطم التي لا تتحمل الحرارة الزائدة وتتعرض للخسائر، بينما تقل جودة المحاصيل الأخرى بسبب تغير المناخ. كما يؤثر تغير نمط الأمطار على الخطة الزراعية للمزارعين الذين يعتمدون على الأمطار في تحديد مواعيد زراعتهم. في مناطق شمال مطروح، التي تعتمد على الأمطار في الزراعة، يزداد الصراع على المياه مع تراجع كميات الأمطار. هذا التحدي يهدد الأمن الغذائي، حيث ترتفع أسعار المحاصيل، وبعضها يختفي من الأسواق. المزارعون يعانون أيضًا من تأثيرات الرأسمالية التي تؤدي إلى احتكار الأسواق وتحكم القلة في الأسعار، مما يزيد من معاناة الفئات البسيطة. بالإضافة إلى التغيرات المناخية، يشعر المزارعون بأنهم في صراع مستمر مع النظام الاقتصادي الذي يزيد من استغلالهم، ويؤثر سلبًا على رفاهيتهم.

ثالثًا المواشي:

البقرة، التي كانت رمزًا للخير والعطاء في مصر، تعاني هي الأخرى من التغيرات المناخية. ارتفاع درجات الحرارة يُؤثّر على إنتاجها، وتفاقمت معاناتها نتيجة الرأسمالية التي تتطلب زيادة الإنتاج باستمرار، مما يؤدي إلى إجهادها الذي يُؤثّر على باقي وظائفها. كما أن نقص الأعلاف بسبب تغير المناخ يزيد من معاناتها، حيث باتت تنافس البشر على الغذاء. هذا التحدي يضع المزارع في موقف صعب بين تلبية احتياجات الماشية وضمان غذاء أسرته.

هل يستجيب النمو الخفي؟

في ظل هذه الظروف، قد يظهر مفهوم «النمو الخفي» كأداة مقاومة للتحديات التي يفرضها النظام الرأسمالي والتغيرات المناخية. يدعو هذا المفهوم إلى تقليل الاعتماد على النمو الاقتصادي التقليدي الذي يسعى إلى التوسع اللامتناهي، ويركز بدلاً عن ذلك على تحسين جودة الحياة واستدامتها. النمو الخفي يشدد على تقليل الإنتاج المفرط والاستهلاك الزائد، والاهتمام بالبيئة والمجتمعات المحلية.

في السياق الزراعي، يُمكّن أن يسهم النمو الخفي في تعزيز استدامة الزراعة من خلال الاعتماد على

الطاقة النظيفة والزراعة العضوية، وتقليل استخدام المبيدات الكيميائية. بعض المزارعين المصريين يمارسون بالفعل ممارسات شبيهة بالنمو الخفي، بشكل تلقائي استناداً إلى الخبرات المتراكمة. ومن الأمثلة البسيطة التي توضح هذا المفهوم ما يقوم به بعض المزارعين المصريين منذ عقودٍ طويلة، حيث يتعاونون مع رعاة الأغنام في عملية تبادل زراعي. يقوم المزارع بزراعة الأرض لموسم، وفي الموسم التالي يتركها لرعاة الأغنام، مما يساعد في تسميد الأرض طبيعياً بفضل مخلفات الأغنام، ويقلل من تكاليف تجهيز الأرض للموسم الزراعي المقبل. هذا التعاون المتبادل بين الفلاح والراعي يعكس أحد أوجه النمو الخفي، إذ يُربح الفلاح عامًا، ويُربح الراعي العام التالي، دون تكبد خسائر كبيرة أو استنزاف الموارد.

ورغم أن النمو الخفي يحاول تقديم حلولاً مبتكرة لمشكلات التغييرات المناخية، إلا أن هناك سلبيات محتملة في تطبيقه، خاصةً في البلدان النامية التي تعاني من نقص الإنتاج الغذائي. إن الحد من الإنتاج الزراعي بشكل عشوائي قد يؤدي إلى تفاقم أزمة الأمن الغذائي ويهدد المجتمعات التي تعتمد بشكل أساسي على الزراعة [٧]وتبادل حاصلاتها من أجل الحصول على محاصيل ومنتجات زراعية أخرى. هذا بالإضافة إلى محدودية الأراضي الزراعية والصالحة للزراعة في تلك البلدان. ومن ثمّ، لا ينبغي تطبيق هذا المفهوم بطريقة عمياء أو غير مدروسة، بل وضع خطط استراتيجية تأخذ في الحسبان احتياجات المجتمعات المحلية والتوازن بين الإنتاج والاستهلاك دون المساس بالأمن الغذائي.

على سبيل المثال، مع محاولات إعادة توزيع الأراضي الزراعية في مصر خلال العقود الماضية، كانت النية تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية. إلا أن غياب التخطيط الدقيق للتطبيق أدى إلى نتائج سلبية، مثل تفتيت الأراضي الزراعية بشكل أثر على الإنتاج الزراعي واستدامة تلك الأراضي. هذا الوضع ما زال يُؤثّر على المجتمع المصري حتى الآن. لذا، من الضروري الاستفادة من هذه

٧- **تبادل الحاصلات الزراعية** هو عملية مبادلة المنتجات الزراعية التي ينتجها طرف معين مع منتجات زراعية أخرى ينتجها طرف آخر. تُعرف هذه العملية أيضًا بنظام "**المقايضة الزراعية** "إذا تمت بدون استخدام الأموال، أو **بالتجارة الزراعية** إذا كان هناك تبادل مالي أو قيم اقتصادية أخرى

التجارب السابقة: يجب دراسة أي مفهوم جديد بعناية وتطبيقه بحذر لضمان تحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي والاستدامة البيئية والعدالة الاجتماعية، مع تجنب التبعات غير المقصودة التي قد تنتج عن سوء التطبيق.

في النهاية، التكيف مع التغيرات المناخية يتطلب إعادة التفكير في الأنظمة الزراعية وتطوير سياسات تدعم استدامة الزراعة على المدى الطويل. من خلال تطبيق التكنولوجيا والابتكار وتعزيز التعاون الدولي والمجتمعي، يمكن تحقيق توازن أكثر قابلية للتنفيذ بين تقليل الانبعاثات الكربونية واستدامة الإنتاج الزراعي. وبينما يمكن أن يكون النمو الخفي جزءًا من الحل، فإن تطبيقه بشكل مدروس ومرن سيساعد في التعامل مع التحديات الواقعية، مع ضمان تحسين حياة الناس وتعزيز الأمن الغذائي للأجيال القادمة.

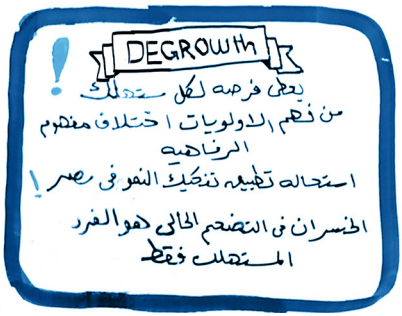
DEGROWTH
!
يعطى فرصه لكل مستهلك
من ذهم الاولويات ا ختلاف مفهوم
الرفاهيه
استحاله تطبيقه تنكيك النمو فى مصر !
الخسران فى التضخم الحالى هو الفرد
المستهلك فقط

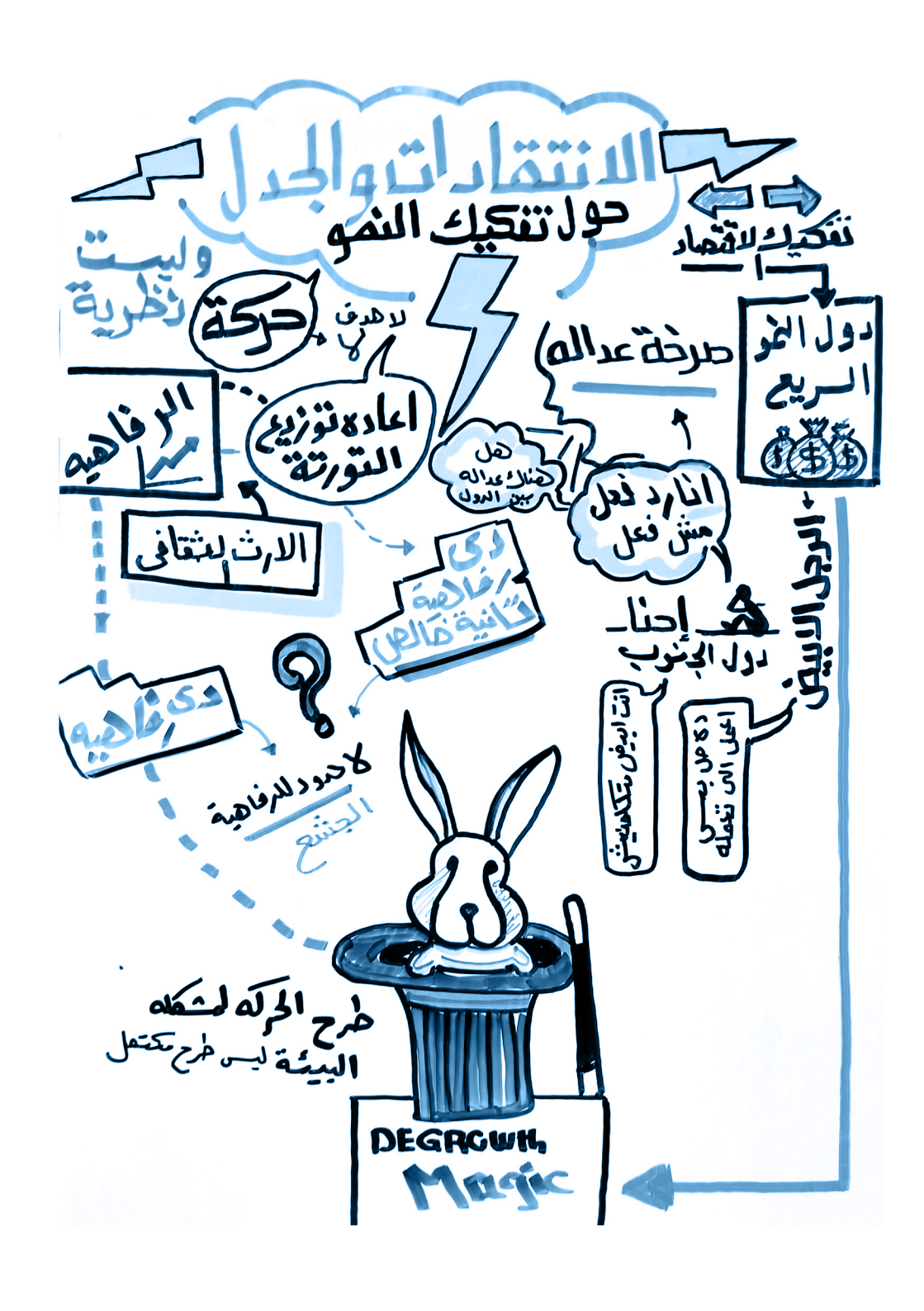
الانتقادات والجدل
حول تفكيك النمو
تفكيك الاقتصاد
وليست نظرية
حركة
لا هدف لها
دول النمو السريع
صرخة عدالة
الرفاهية
اعادة توزيع الثورة
هل هناك عدالة بين الدول
انا رد فعل مش فعل
الارث الثقافي
دى رفاهية كانت هالص
إحنا دول الجنوب
الرجل الأبيض
دى رفاهية
لا حدود للرفاهية
الجشع
انت ابيض متكلمنيش
دكاترة بيسرى اعمل ايه تتعمله
طرح الحركة لشكله
البيئة ليس طرح مكتمل
DEGROWTH
Magic

٢

الباب الثاني:
محاولات الفهم

"دقيقة يا جماعة نفهم"

"دقيقة يا جماعة نفهم"

حاول المشاركون/ات التعرض للمفهوم وشرحه من وجهة نظرهم/ن أو كما فهموه من موقعهم/ن الخاص. تطرقت النقاشات الأولية الى النظم الاقتصادية فبدأ النقاش حول النظام الرأسمالي العالمي، وبعده تطوره لنظام نيوليبرالي حيث عمّق الخصخصة وعزّز الأسواق الحرة، ليشكّل موجة جديدة من الهيمنة الاقتصادية. ومع تطور النظام، انغمسنا في مرحلة أكثر تعقيدًا، حيث أصبحت الأموال الافتراضية، والاقتصاد الرقمي، والابتكارات المالية تشكل بنية أخطبوطيه للاقتصاد العالمي. وبسبب التغيرات الاقتصادية المتسارعة والتعقيدات الجديدة، أصبح من الصعب على الشخص العادي تحديد مسميات هذه الأنظمة أو فهم اختلافاتها. ومع ذلك، قررنا تسميت كل هذه ‹رأسمالية› لأن الأسس الجوهرية من استغلال الموارد وتركيز الثروة لا تزال قائمة. تطرقت الكتابات الى التأثيرات الاجتماعية والبيئية السلبية. وخصص/ت بعض المشاركين/ات النقاش في مجالاتٍ بعينها مثل التطوير العمراني والزراعة وغيره. لم يطغى هذا المنظور العام على الكتابات، واتجهت بعضها لنقاش التأثيرات الخاصة. فظهرت تساؤلاتٍ غاضبة عن كيفية سلبنا حق الخيال لما بعد النظام الرأسمالي، وكيف أننا نجد صعوبة حتى في تخيل نهايته. كأن الأسئلة تتطاير، وجدنا الإجابة على هذه التساؤلات في كتاباتٍ أخرى عن ذواتنا كمُنتَج لهذا النظام العالمي. فكيف يحاول المُنتَج تفكيك ونقد الصانع؟

"النظام العالمي لا يراني" - أسماء الحفناوي (مشاركة)

لا يحتاج الإنسان للعديد من القراءات والنقاشات ليدرك ذاتية التجربة. تفاعل العديد من المشاركين/ات بشكل عكسي لنقاشات المفاهيم العلمية والقضايا الإنسانية والأنظمة العالمية، فاتجهوا مباشرةً إلى الكتابة عن الذات. كتب العديد عن ممارساتهم/ن اليومية الخاصة (جدًا) وكيفية تأثرها

وتأثيرها فيما يتعلق بتلك الكلمات الكبيرة التي يناقشها الجميع. كتب البعض عن تجاربهم/ن في الهجرة غصباً من مدنهم/ن الصغيرة ذات الطابع الاستهلاكي والإنتاجي البسيط بمفاهيم الاقتصاد العالمي إلى المدن المركزية الممتدة على خرائط جوجل بخطٍ كبير. وكيف أثّر ذلك على حيواتهم/ن وكيف اختار/ت بعضهم/ن العودة بعد الوصول (إن كان هناك وصول أصلاً). وعرّف بعضهم/ن تلك العودة بالتطبيق المباشر لمفهوم نقص النمو. تلك التجربة لم تكن فريدة رغم ذاتيتها، فقد تكرر حكيها أو ربما كتابة لصداها في العديد من المشاركات.

اتجه البعض الآخر للنظر للداخل في كتاباته والنظر لاستهلاكه اليومي. ادّعى أحد المشاركين أنه قادر على قلب هرم ماسلو رأسًا على عقب (تخيل؟) وإعادة ترتيبه، وبالتالي تغيير مفاهيم الاحتياجات ونمط الاستهلاك والإنتاج والناتج المحلي. ومن هنا بدأت النقاشات (والكتابات أيضًا) تتخذ منظورًا أوسع وأشمل؛ فالخاص لا يمكن فصله عن العام. ناقش العديد مفهوم إجمالي الناتج المحلي وحاولوا تفكيكه وهدمه ونقاش البدائل المُعبِرة عن حقيقة «التقدم». فظهرت كتابات تناقش مفهوم الرفاهة الشخصي والعام وكيفية تحديده. وماذا لو تعارضت مفاهيم الرفاهة؟ كيف نعيد تفكيك المفاهيم ونركبها؟ وإذا كان الحل في إعادة تعريف النمو فما هو التعريف الجديد؟ وإذا اتفقنا على التعريف الجديد، كيف نطبّقه؟ ومن هنا تقاطعت تلك الأفكار والنقاشات (وبالتالي الكتابات) مع كيف ينتج الإنسان نقصًا؟!

هل يعتدل النمو؟

أسماء حفناوي

هل يعتدل النمو؟

لا أدّعي أنني أتفق مع كل ما يحمله طرح Degrowth أو اعتدال النمو من أفكارٍ واقتراحات. سأبدأ بمجموعة من الأسئلة التي تدور حولي كفردٍ صغير في منظومة الاقتصاد والنمو: فتاة ومواطنة ريفية في الجنوب العالمي في شمال مصر في القرن الواحد والعشرين.

أين مكاني في النظام العالمي؟ ما هي الفرص المتاحة لي؟ ما هو دوري في المنظومة العمرانية؟ وما هي الإمكانيات أو الأفعال التي يمكنني القيام بها لتغيير أي من هاتين المنظومتين؟

يتماشى طرح اعتدال النمو مع كثير مما جاء قبلنا، فنرى الحضارة المصرية القديمة قائمة على التجرد وفلسفة الخلود، حيث اعتمد المصري القديم على نمط حياة يحد من الزائد ويركز على البسيط، مستخدمًا الموارد المتاحة مثل الطوب اللبن لبناء المنازل من موارده البيئية القريبة. الإيمان بدورة حياة الإنسان المحدودة جعله يتجرد من فكرة الاستحواذ، وهي أساس النظام الاقتصادي الحالي. كان يرى أن مسكنه واحتياجاته يجب أن تتوافق مع هذه الدورة؛ فعندما يموت الإنسان، يزول بيته معه، مما يتيح للأجيال القادمة فرصة للنمو ضمن إطار حياتهم. بهذه النظرة، تحقق النمو والاستدامة دون انتهاك لحقوق الأجيال القادمة أو استنزاف الموارد.

لذلك، أرى أن هذا الطرح وهذه الحركة ليسا بجديدين، بل هما نوع من العودة للبحث في العلوم والموروثات المجتمعية الأصيلة- أو نضعها في قالب زمني «ما قبل الآلة»- حيث استطاعت المجتمعات التقليدية تحقيق اعتدال النمو والتنمية المستدامة بشكل طبيعي وبدون تعقيد.

وبالعودة إلى الجذور، أرى أن مدينتي سيدي سالم في شمال دلتا مصر بأصولها الريفية قد تتجلى فيما تقترحه الحركة كمانيفستو للجنوب العالمي، في محاولتي لتفكيك هذا المفهوم على المستوى الشخصي،

أسعى إلى مناقشة مفهوم الرفاهية في المجتمعات الصغيرة المهمشة والبعيدة، وأتساءل عن معنى الرفاهية الموحدة بالنسبة لمجتمعي.

في وصف بسيط للحياة في قريتي الصغيرة، رغم أن اليوم هناك ملئ بالأعمال الشاقة والروتينية، حيث تدور الحياة اليومية مع حركة الشمس شروقا وغروبًا، بدءًا من حلب الأبقار والجاموس وحتى زراعة الحقول. ومع ذلك، على الرغم من بساطة هذه الحياة، فإنهم يجدون السعادة والرضا في علاقاتهم الاجتماعية القوية بينهم وبين محيطهم البيئي. فدائمًا ما كانت البرانده مكانًا للأحداث المتعلقة بممارسة الأنشطة اليومية السعيدة. فبالرجوع لذاكرتي الطفولية تظهر بوضوح الحياة اليومية لعمتو، حيث كانت جارتنا في المنزل، كمثال حي على مفهوم الرفاهية عند هذه المجتمعات. فكان شرب شاي العصاري في البرانده بعد يوم عمل شاق وطويل هو المعنى الحقيقي للرفاهية.

وفي رحلتي الشخصية للبحث عن الرفاهية من عدسة فتاة عشرينية في ظل النظام العالمي

خريف ٢٠١٥ كان أول عهدي بالعيش في العاصمة القاهرة. في معترك حياتي بعد التخرج من الجامعة ودراستي للهندسة المعمارية. بذلت الكثير من الجهد والبحث للحصول على عمل يناسب أفكاري وطموحي في مدينتي أو حتى المحافظة التي أنتمي لها. لكن مع غياب العدالة وتوزيع التنمية والموارد في المناطق البعيدة، لم أستطع الحصول على فرص ملائمة كافية لفتاة مثلي من جوانب عدة (مرتب مناسب، أو تطور مهني ومعرفي، أو حتى ما أستطيع أن أُسميه فائض عمراني لا يضر- وهو ليس كذلك). عملي كمهندسة في سيدي سالم كان أحيانًا يضطرني للتعامل مع البناء على الأرض الزراعية في ظل النمو العمراني السريع الذي تعيشه مصر خلال هذه الفترة من الزمن؛ سيدي سالم واحدة من المدن التي تتطور عمرانيًا بشكل عشوائي تلقائي يتسم بالشرذمة والتشتت اللاعقلاني- لا يراعي أدنى احتياجات الإنسان، فهي كتلة عمرانية بنائية صماء يتصارع فيها الجميع على إيجاد مكان لنفسه على حساب الأرض والحياة. ولإيماني بأفكاري وما تعلمته، وإيماني بأن خسارة هذه الأرض لا يُغتفر، كانت فكرة الذهاب للقاهرة وبداية فصل جديد من حياتي هناك في تلك اللحظة هو الحل. في محاولة مني للدخول داخل النظام العالمي وامتلاك المهارات والمعرفة والرفاهية والمال واتساع التجربة وزيادة في الجري مع العولمة وأن أكون جزء منها. في البداية ذهبت لاستكمال دراستي

العليا، وفيما بعد العمل. عشت هناك لمدة ٤ سنوات اكتسب بعض الخبرة التي كنت أطمح لها، وخسرت الاستقرار العائلي والأصدقاء وراحة البال، وكان عليّ مواجهة المدينة الكبيرة كفرد وحيد. هي باختصار تجربة ثرية إنسانيًا لفتاة عشرينية في ذلك الوقت، تمتلك من المهارات والمعرفة والطموح ما يؤهلها بمكان أن تصبح جزءًا من هذا النظام الاقتصادي العالمي الكبير كما صُور لها. ولكن لتكون جزء من هذا النظام عليك خوض صراع ومعركة شخصية مع نفسك وتقبُل خسارة أشياء في المقابل لكسب أشياء أخرى ورغبةً في المزيد لا تنتهي. وهنا تظهر وتتجلى مفاهيم وقناعات كثيرة مثل الرفاهية والسعادة والقناعة وجودة الحياة والإنسان والعائلة والوحدة والاستقرار. وفي النهاية كان عليّ حسم هذا الصراع الشخصي مع العولمة والنظام الاقتصادي العالمي.

وعودة مرة تانية للتموضع وتعريف الرفاهية، «أسماء» فين؟ موضعي إيه من النظام العالمي؟

أنا كشخص بالنسبة للنظام العالمي صغيرة جدًا، ومتأكدة أن النظام لا يفكر في بالمرة إلا في حالة واحدة، وهي الأرقام والأعداد سواء في عالم الأعمال أو السياسة أو إحصاءات المشكلات الاجتماعية. لكن كإنسان فرد، وأهميته في المجتمع. وأنه أساس تكوين المجتمعات، لأ، هو مش شايفني أصلاً.

كنت أعيش في حالة من اللهاث الدائم غير مسموح بالتوقف، لأن قطار السرعة والعولمة سيهرسك. دائمًا ما أكون مضطرة أن أكون أحسن، أشطر، عندي معرفة وعلم بكل شيء، موجودة في كل حدث ونشاط مرتبط بمهنتي، وإلا سأتراجع عن الصف.

"واللي هيبعد من الميدان عمره ماهيبان في الصورة"

والصورة التي كنت أتصور أني أبحث عن مكاني فيها هي طموح مهني، وبحث عن مكانة والخروج من مجتمع الريف لأن النظام العالمي رسّخ للهجرة والنزوح للعواصم بدون سؤال حقيقي حول جدوى وضرورة الحركة باتجاه المدينة الكبيرة. وعليه، اتخذت قراري بحسم هذا الصراع الشخصي مع النظام العالمي لصالح إنسانيتي من وجهة نظري. أنا أيضًا لن أرى النظام العالمي، لن أجري مع السباق، لن أعتمد المفاهيم من خلالهم. سأعتمد هذه المفاهيم من خلال تجربتي: السعادة والرفاهية وراحة البال

والثروة. فقررت العودة إلى مدينتي الصغيرة وأصبحت لا أرغب في الحصول على الأشياء كلها، ولا «أكوش على الدنيا»، ومش لازم أكون في الصورة بهذا الشكل.

والسؤال الملح دائمًا عن مفهوم القناعة بالنسبة لي، ما هو الشيء الضروري الذي أحتاجه بالضبط؟ وهل فعلا هذا الشيء سيحقق لي الراحة العقلية والنفسية والرفاهية؟ وهذا السؤال يتكرر يوميًا، في ظل الكم المهول المتاح من المعلومات والمعرفة والأنشطة والعلم والتعلم والرغبة في المزيد والتواجد في كل هذا. أين تكمن السعادة وراحة البال؟

تقاطعات الفرد مع النظام العالمي والعولمة، وفرص الإفلات منها

لأكون منصفة، لا أستطيع تجاهل النظام العالمي ممثلاً في التكنولوجيا ودورها كشريك في القرار. بسببها استطعت العمل مرة ثانية والتواصل مع العالم الكبير الواسع من غرفتي الصغيرة في المدينة الصغيرة المهمشة في أقصى الشمال في ريف مصر. استطعت التغلب على الاكتئاب الذي طالما لازمني خلال السنوات الأربع وقبلها. تبدد الشعور بالذنب لعدم اللهاث والجري واللحاق بالقطار. استطعت الحصول على قدرٍ كبير ومساحة من الراحة وفرصة للتعرف على نفسي واختياراتي، وهل العمل الأنسب لي، أم المشاركة في الأحداث والانخراط المجتمعي؟ وما نوع الأثر الذي أستطيع تركه؟

وعليه من الضروري هنا طرح سؤال على نفسي، هل يمكن أن أكون أنا مثال للآخرين؟ وهل الخلاص الفردي يمكن أن يكون خلاص جماعي من مفهوم الأواني المستطرقة؟ وهل إذا ساد هذا المفهوم أو الخلاص الفردي للجماعة يمكن أن تنجو سيدي سالم، أو كفر الشيخ، أو مصر، أو الجنوب العالمي من هذا اللهاث العالمي؟ الآن لا أستطيع الإجابة بشكل قاطع وواضح، ولكون الفرد هو العنصر الأساسي في الجماعة ومكونها، ومن مفهوم رمي الحجر في المياه الراكدة يمكن أن تحدث عملية التغيير.

هذه الرحلة لم تنته بعد، حتى الآن لم أخرج من السباق بشكل جذري فأنا لازلت داخل اللعبة، أعيش بين عالمين أحاول جاهده أن أجد التوازن بينهما. وأن أكون جزءًا من هذا العالم دون أن

أضيع فيه. وعليه، فكل ما فعلته هو محاولة مني لعملية إدارة وتحكم في موضعي من هذا السياق. حتى الآن لا زلت أعمل من المنزل، أتقاضى أجرًا، أتواصل مع العالم من خلال الشاشة الصغيرة والإنترنت. ولا أتخيل نفسي لا أعمل في تخصصي أو أتخلى تمامًا عن كل أحلامي وطموحاتي. وهذا ما دفعني للعمل على شركتي الناشئة في محاولة مني لخلق مكان أو موضع يلائمني داخل هذا النظام العالمي.

ولنقف متأملين هذه الصورة التي تُوضّح التقاطعات المصيرية بين الفرد والنظام العالمي.

في نهاية هذه الرحلة الشخصية، وعودة للمفاهيم الأصلية والأصيلة والتعريفات المُوحدّة، أدرك أن مفهوم الرفاهية والسعادة هو رحلة فردية فريدة لكل شخص. فمفهوم الرفاهية وغيرها من المفاهيم والمشاعر الإنسانية ليست مُوحدّة، وإنما مشاعر لحظية مبنية على زمن الحدوث وجودة الحياة وما يحيط بها من أعمال وأنشطة. فلا أحد يستطيع احتكار السعادة والرفاهية أو وضع مفهوم مُوحّد لها يناسب الجميع. ومع ذلك، أعتقد أن هناك قاسمًا مشتركًا بيننا جميعًا وهو فكرة البحث عن المعنى والهدف في الحياة.

وعندما أعود إلى طفولتي في قريتي في الريف المصري، أتذكر بساطة الحياة وسعادة الناس برغم قلة الموارد. وفي المقابل، تجربتي في المدينة الكبرى علمتني القيمة الحقيقية للسعادة والرفاهية، والتطور الشخصي، لكنها أظهرت لي أيضًا الوجه القبيح لهذا النظام العالمي. اليوم، أجد نفسي أقف على مفترق طرق، أبحث عن توازن بين طموحاتي الشخصية ورغبتي في العيش حياة أكثر استدامة ووعيًا. أدرك أنني لا أستطيع الهروب تمامًا من النظام العالمي، لكنني أستطيع أن أختار كيف أتفاعل معه.

أعتقد أن الحل يكمن في إعادة تعريف النجاح والرفاهية. بدلاً عن السعي وراء الأفكار المُوجهة للإنسان في النظام العالمي الجديد، يمكننا التركيز على بناء علاقات قوية، ورعاية أنفسنا والبيئة المحيطة، والمساهمة في مجتمعاتنا. في النهاية، عودتي إلى مدينتي الصغيرة لم تكن مجرد هروب، بل نتيجة رحلة اكتشاف ذاتية. لقد تعلمت أن السعادة الحقيقية تكمن في الأشياء البسيطة، والعيش

من خلال معاني حقيقية، والتخلي عن المفاهيم السابقة، والعلاقات التي نبنيها مع الآخرين. وأننا جميعًا مسؤولون عن بناء عالم أكثر عدلاً واستدامة للأجيال القادمة. وهنا تلتقي نتائج تجربتي مع ما يطرحه مفهوم اعتدال النمو.

التموضع من وجهة نظر المدينة

سيدي سالم هي المدينة التي أسكن فيها منذ ٢٠ سنة، والآن أين هذه المدينة من العولمة والنظام العالمي؟ أشعر أن حالتي كفرد نفسها هي حالة المدينة، العالم والنظام العالمي لا يرى هذه المدينة إلا من خلال أرقام ومشكلات وسلع استهلاكية. والسؤال هنا: ما هي احتياجات هذا المجتمع المحلي الزراعي السمكي الصغير من التنمية؟ هل هي مجرد سوق للاستهلاك فقط للأكل والسلع والخدمات؟ ماذا ينتج هذا المجتمع؟

سيدي سالم مثل الكثير من المدن الصغيرة التي نشأت من الأساس لتكون مركزًا للخدمات الإدارية والتعليمية وتوزيع السلع والخدمات على القرى والعزب المحيطة بها. ولكن، مع مرور الزمن، تغيرت الاحتياجات. فما هي حدود إمكانيات هذه المدينة الآن؟ وما هي الأدوار التي يمكنها أن تلعبها في المستقبل في ظل هذا النظام المتسارع؟ وكيف تشتبك معه؟

الجامعات والتنمية المحلية

جامعة كفر الشيخ مثال حي على هذه المعضلة. فوجود كليات عديدة لا يعني بالضرورة تحقيق التنمية المحلية. فإذا كان خريجو هذه الكليات يهاجرون إلى المدن الكبرى بحثًا عن فرص عمل بعد التخرج مثلي، فما الفائدة من هذه الجامعات؟ ألا يجب أن تساهم الجامعات في بناء مجتمعاتنا المحلية وتلبية احتياجاتها؟ لماذا نُثقِل على المجتمع والسوق المحلي بكفاءات علمية لا تناسب احتياجه؟! فيضطر الخريجين إلى هجرة مدنهم للبحث عن مصادر للموارد في مدن أخرى. وهنا تبدأ دائرة الجري واللهاث خلف قطار النظام العالمي، ولا يلتفت أحد إلى الفراغ الذي يتحقق بهجرة الموارد البشرية من مجتمعها الأصلية، ومن ثمّ تتضاعف الضغوط على المجتمع الجديد الذي يسعى إليه الأغلبية. فنجد

مدن صغرى فارغة ومدن كبرى مكدسة، أو أقاليم فارغة وعواصم مكدسة. وفي الحالتين، تفتقد المجتمعات باختلافها إلى مفهوم اعتدال النمو ويبتلعها النظام العالمي الجديد.

التموضع من وجهة نظر مصر

وبناءً على ما سبق، نتعمق تساؤلاتي: هل مصر في اضطرار أن تتبع ركب النظام العالمي؟ وما هو موضعها وحدودها من هذا الركب؟

من مكاني البعيد هنا، أرى أن مصر فعلاً في اضطرار إلى اتباع ركب النظام وأن تكون جزء منه بشكلٍ أو بآخر، لكن هل بهذا الشكل الحالي؟ هل نريد أن نكون جزءًا من آلة الإنتاج الاستهلاكية العالمية، أم أننا نريد أن نعيش حياة أكثر استدامة وتوازناً مع بيئتنا ومجتمعنا؟ أي مواطن نريده في المستقبل؟ وأي موضع نريده لمصر في المستقبل؟ وماذا تطمح مصر أن تصبح عليه؟

إن تطبيق مفهوم اعتدال النمو في سياقنا المحلي من الجنوب العالمي يتطلب إعادة التفكير في أولوياتنا، وهويتنا الثقافية والتاريخية والاجتماعية، وإعادة تقييم نمط حياتنا، وبناء مجتمعات أكثر مرونة وقدرة على التكيف مع التحديات الحالية والمستقبلية. وإعادة تعريف المفاهيم من منظورنا الخاص.

هل الرحلة حقًا فردية أم هي الرأسمالية؟

يارا وائل حجازي

هل الرحلة حقًا فردية أم هي الرأسمالية؟

لا يمكنني الجزم أبدًا ولا حتى تخيل الحياة قبل نهوض الرأسمالية، وابتداع الأيديولوجيات المُعقدة والكلمات الطويلة المركبة التي تجبر الإنسان على أن يكون مجرد ترس في المكنة، طوبة أخرى في الحائط، أو بالأحرى مفعول به فقط ولكنه مفعول به موهوم بقدراته الفائقة غير المحدودة وبفردانيته التي تميزه عن غيره من الكائنات المكونة من خلايا وذرات تدور في الكون بجانبه (في كون يدور ويتحرك نحو هلاكه وفناؤه). وهنا يأتي سؤال: هل الإنسان مصيره الفردية والوحدة، أم أنه ينتمي للأرض والبيئة والمجتمع من حوله؟

استخدمت النظم الاستعمارية نقاط قوة مجتمعات الجنوب ضدها، حيث كانت هذه المجتمعات مبنية في الأساس على الترابط والتكامل والاعتماد على بعضها البعض، ويحفزها شيء أساسي: النجاة. وتساءل الاستعمار «ماذا لو لم يعد هناك ما يكفي من موارد لنجاة الجميع؟» نخلق ما يعرف بمصطلح «التسييج» وهو ما بدأ في الظهور في العصور الوسطى في إنجلترا عندما تم تخصيص الأراضي التي كانت مفتوحة من قبل ومنع الجموع من الوصول إلى الموارد المتاحة بلا مقابل كجزء من النظام البيئي، وخلق صراع لأساسيات النجاة، وهو المصطلح المُستخدم الآن في نقد الرأسمالية التي تجبر الفرد على محاولة النجاة بنفسه. في هذا سباق، إما الحياة أو الموت. وعند تخيير الإنسان بين نجاته ونجاة الآخرين، غريزته للنجاة ستكون هي الفائز الوحيد في تلك المعضلة.

خلق الاستعمار ما توسع جاسون هيكل في سرد أصله في مقاله «تفكيك النمو: نظرية الوفرة الجذرية» وهو ندرة اصطناعية للموارد للتفريق بين الجماعة، وإضعاف الأفراد ليسهل السيطرة عليهم ودفعهم لبذل حياتهم للنجاة تحت سيطرته. وكلما كاد أن يصل الفرد، وسعى لتوفير تلك الموارد ليحظى ببعض الراحة، أو لجأ مجددًا لبناء مجتمع يحميه ويشاركه معاناته، يخلق له الاستعمار احتياج جديد، ويسلب منه حق آخر، حتى لا يتوقف لحظة عن الخوف من الفناء.

الاستعمار والرأسمالية مرة أخرى. وهنا لا يُقصد بالاستعمار الشكل القديم فقط ولكن أيضًا في شكله الحالي. إن مجتمعنا الحديث قائم بشكل أساسي على التنافسية، وتحويل الإنسان إلى آلة، آلة يتحتم عليها التطور والتعلم ليس بغرض الاكتشاف والتواصل أو حتى للشعور بالسعادة، بل لغرض الحصول على احتياجاته الأساسية من مياه نظيفة وبعض من المنتجات الغذائية، وإن كان الحظ حليفه سيجد مأوى مناسب يُمكنه من أن ينجو للغد ويستطيع أداء دوره كمفعول به موهوم.

بشكل شخصي، أشعر دائمًا أن لا مكان لي هنا، لا يمكنني إيجاد موضعي. أشعر بضغط دائم تجاه التعلم والمعرفة، لدرجة دفعتني لتعلم أشياء- بكامل إرادتي، أو إرادتي التي هيأني النظام أنها الحقيقة المطلقة- لا أكترث بها ولن أكترث بها بعد عشرون عامًا حتى، ولكن هو إحساسي بوجوب استمرارية إنتاجيتي. وظهر هذا بشكل جلي في حياتي أثناء جائحة كورونا، والتي زادت من اضطرابات القلق لديّ لأنني لم أتعلم التوقف أبدًا. أنا نتاج الرأسمالية الحي. منذ الولادة وأنا حبيسة الأربع حوائط، أو المأوى الذي استطاع توفيره أهلي في ذاك الوقت، بالرغم من بعده عن حياتهم بأكملها، والحضانة والمدرسة والجامعة، كلها سلع، تباع لي بثمن غالي على أمل أنه في يوم من أيام حياتي كطوبة بالحائط سأكون أنا المتحكمة في حياتي، سأستطيع أن أستيقظ مع شروق الشمس كما اعتدت قبل أن تسرقها مني الإنتاجية والعمل من الساعة ٩ للساعة ٥ مساء، ومن بعد التخلص من قيود العمل سرقتها مني الاستثمارات السريعة وحلم التطوير.

هذا ما تريد تغييره حركة حصر النمو/ النمو المتكامل كما أود أن أسميها. في هذه الفكرة الثورية، يجادل داعميها أن الحل يكمن في الجماعة؛ حيث أن الموارد كانت متوفرة منذ البداية، وتوزع بين أفراد الجماعة حسب احتياجهم، ولكن الندرة المصطنعة حفزت السلوك الاستهلاكي، وربطت بين تطور المجتمعات وإجمالي ما ينفقه أفرادها، فكلما استهلك الفرد أكثر، واشترى ما يريده وليس ما يحتاجه كلما زاد معدل النمو الإجمالي.

وذلك يؤدي إلى توزيع غير عادل وغير متوازن للثروات، فهناك فرد يمتلك من البيوت مئة ولا يسكن غير غرفة، بينما هناك ملايين من الأفراد بلا مأوى من الأساس. ففي نظر هيكل، إن

حصل جميع الأفراد على موارد وخدمات أساسية عادلة، تتناسب مع احتياجاتهم وموضعهم بالرجوع إلى إرثهم الثقافي والمجتمعي، سيتحقق التوازن.

ففي المجتمعات التي يحلم هيكل بتشكيلها، سيقاس النمو بمدى رفاهية الفرد، بما يتماشى مع تعريف الجماعة التي ينتمي لها للرفاهية. ففي هذا التخيل، يحصل كل فرد داخل المجتمع على خدمات مجتمعية تلبي احتياجاته الأساسية، فيكون هناك تساوي في الغذاء والصحة والتعليم، وكل ما يعرفه ذلك المجتمع باحتياج أساسي. فبالتالي لن يحتاج الفرد للعمل ١٨ ساعة في اليوم لتلبية تلك الاحتياجات الأساسية، مما سيحسن من صحة الفرد النفسية والجسدية، كما سيوفر فرص عمل أكثر فيزيل الخوف من البطالة من المعادلة.

لا يمكنني أن أنافق نفسي وأجزم أني أستطيع التخلي عن كل ما أملكه من أجل إنقاذ العالم، ولكن الفكرة تعطيني بعض من الأمل، وحتى إن كان بحجم قطعة صغيرة من المايكرو بلاستيك الذي يعمل على قتلي وتسميمي كل يوم بشتى الطرق، ولكنه أمل، لأن الفكرة لا تريد هدم النظام بأكمله، فهي لا تنتقد الإنتاجية بل الاستهلاكية والفردانية. فإن تم إتاحة احتياجات الفرد الأساسية بشكل عادل- غير متساوي- لكل المجتمعات بما يتناسب مع إرثها ومعتقداتها والبيئة المحيطة بها، ستكفينا الموارد وسنعطي الأرض فرصة لتشفى وتلتقط أنفاسها وتنجو بنا جميعًا.

لمن البناء اليوم؟
تفكيك نمو السرطان العقاري: احتياج متزايد أم رفاهية؟

هاجر البلتاجي

لمن البناء اليوم؟
تفكيك نمو السرطان العقاري: احتياج متزايد أم رفاهية؟

توجد نظريات كثيرة وأبحاث عن نشأة المدن وتطورها تاريخيًا وكيفية تحول هذه الأنماط عبر التطورات المختلفة التي مرت بها البشرية. قديمًا كانت المدن تنشأ بشكل عضوي وطبيعي بدون تدخلات من العامل البشري، فكانت تنشأ على غرار احتياجات الإنسان وحاجته للبقاء. وُضِعت النظريات هذا الاحتياج في إطار النجاة من المخاطر أولاً، ثم تطور هذا الاحتياج بعد معرفة الإنسان للصيد، وبعد ذلك تطورت أشكال تعميره للمدن بعد معرفته الزراعة. أخذ شكل نمو المدن عبر العصور في اعتباره حاجة الإنسان المختلفة من البقاء، إلى أن تطور لخلق حضارات وحروب وصراعات مختلفة بين أشكال وديناميات القوى المختلفة.

كانت الثورة الصناعية أحد أهم أشكال تطور البناء وتوحشه، حيث تطور التوسع العمراني والتعمير للسكن إلى أن وصل إلى تسليع النمو العمراني والمعماري من الاحتياج إلى السلعة، وتطورت أشكال البناء المختلفة إلى أن وصلت إلى زحف العمراني المُتوحش.

في البداية، كانت مدننا تشبهنا في حميمتها. ينبع نموها وتطورها من سكانها فكانت المدينة (والمركز والقرية) تشبهنا إلى حدٍ كبير وتتقاطع مع حيواتنا وتلبي احتياجاتنا اليومية. أتذكر حين كنت في الخامسة من عمري، كنت أرى في زياراتي لقريتنا الصغيرة في ريف الدقهلية الأهالي يصنعون الطوب بأنفسهم ويساهمون في كل مرحلة من مراحل بناء المسكن الحميمي الذي نسكن له ليس فقط فيه. غبت عنها أعوامًا مديدة وعدت لأجد الأسمنت الرمادي أكل كل ما حوله من مساحات زراعية خضراء. اعتقدت أنه النمو الطبيعي الذي يتلاءم مع ازدياد احتياجاتنا، فالعوامل الاجتماعية والثقافية تدفعنا إلى النمو الخرساني حتى ترتقي طبقاتنا الاجتماعية وتتوافق مع المستويات

التعليمية المختلفة. تغير السكن من تلبية الاحتياج البشري للمأوى إلى الصعود في السلم الاجتماعي وتشبعنا فيه.

في عالم آخر مواز من مصر، كانت القاهرة تضيق على قاطنيها وتضيق بهم ذرعًا. انفتحت السوق الاقتصادية فكانت الدعوة الشهيرة إلى الحاجة لتعمير أجزاء أخرى بعيدًا عن هذا الزحام. وبدأ أحدث أشكال تسليع المدن من خلال بناء المدن والتجمعات العمرانية الجديدة في دعوة إلى الوصول إلى رغد العيش واكتساب رفاهيات جديدة أصبحت تشكل أهمية ورغبة ملحة. نشأت مدن الجيل الأول والثاني والثالث والرابع، وكل امتداد عمراني جديد أصبح ينافسه شكل عمراني أوسع. وازداد التنافس في امتلاك المزيد كتعبير جديد عن ممتلكاتك وأهميتك الاجتماعية والثقافية.

توسعت الفقاعة العقارية بشكل مرعب في السنوات العشر الأخيرة بشكل جعلني أستيقظ كل صباح على عدد من المكالمات الهاتفية لمحاولة إقناعي بشراء المزيد من العقارات والتسويق لها، محاولات لا تتوانى أن تقتحم يومي في كل مساحة صغيرة أو كبيرة منه. ثم أتساءل: لم يتم اقتحام يومي بهذا الشكل؟ إذا كان النمو العمراني ضرورة ملحة فسيتم تسويقه إلى الفئات التي لها حاجة ملحة. هذا النمو المتزايد للسرطان العقاري يبتلع في أحشائه الأخضر واليابس في سبيل تقديم المزيد من الرفاهيات وصعود السلم الاجتماعي والطبقي الذي بدوره يغذي الرأسمالية في مصر، بالتزامن مع تراجع قيمة الجنيه المصري في ظل التعويمات المتتالية مما يعطي مؤشرات مضللة عن النمو الاقتصادي المصري خاصةً في سوق العقارات.

يُقدِّم سوق العقارات والعمران المصري إنتاج رأسمالي سريع التزايد، يحمل في طياته استهلاكًا كبيرًا للموارد في سبيل ازدياد رأس المال في يد المطورين العقاريين. يقدم جاسون هيكل في نظرية تفكيك النمو أو تباطؤ النمو مفهوم الوفرة الجذرية، وهو الطرح الذي يشمل قطع جذور إنتاج المنتجات غير الضرورية. في تأطير مفاهيم الرفاهية، الضروري وغير الضروري في سياقات الزحف العمراني ينتج إشكالية من يعرف أهمية الأشياء ورفاهيتها، إذا كنت صاحب رأس المال والمطور العقاري. أما إذا كنت المواطن الأقل حظا، فأملك في الحياة توفير الاحتياجات الأساسية: الصحة والتعليم والملبس والمسكن.

منظور جاسون هيكل وتباطؤ النمو

يطرح جاسون هيكل فكرة تباطؤ النمو كجزء من عملية تحقيق «الوفرة الجذرية»؛ وهي تعتمد على التخلص من الإنتاج غير الضروري والتركيز على تلبية الاحتياجات الأساسية. في سياق سوق العقارات المصري، يمكن النظر إلى تباطؤ النمو كنموذج بديل يضع حدًا للنمو المتوحش الذي يستنزف الموارد ويساهم في تفاقم الأزمة البيئية والاجتماعية.

هيكل يدعو إلى التوقف عن اعتبار النمو الاقتصادي الهدف الأسمى، والتركيز على كيفية تحقيق توزيع عادل للموارد والرفاه للجميع. هذا الطرح يتحدى المفهوم السائد في السوق المصري الذي يعتمد على بناء المزيد من العقارات لزيادة رأس المال.

في إطار طرح تفكيك وتباطؤ النمو الاقتصادي العقاري في السوق المصري أجده يتحول إلى صراع شرس يلزم فرض العديد من القوانين واللوائح لخفض الإنتاج العقاري تدريجيًا. ولا أعتقد أن هذا أمر يسهل تنفيذه في ظل الاقتصاد الرأسمالي الحالي لأنه يعتمد بالأساس على تراكم رأس المال، وهو ما يتناقض تمامًا مع فكرة تباطؤ النمو وتفكيكه.

أتأمل في موضعي من بعيد تعقيدات رأس المال والمصالح المُركّبة والمتداخلة للرأسماليين ومصالح منظماتهم. كيف يمكننا اختراق هذا وتفكيكه؟ يمكننا دائمًا خلق التغيير من الداخل، ولكن هذه فكرة حالمة قليلاً. لنعود إلى الركائز الأساسية لتكوين المدينة؛ وهي العدالة في توزيع المسكن والتنوع والديمقراطية (Fainsteinm ٢٠١٤). ولذا سينطوي تفكيك النمو وتباطؤه في السوق العقاري إلى البدء في إلغاء نموذج تسليع الإسكان حاليًا ووضع قيود عديدة على فكرة ملكية العقارات (Mete ٢٠٢٢). في بعض السيناريوهات المختلفة باستعمال نظرية الألعاب أو الاحتمالات لما سيكون عليه سوق العقارات وتوفير المسكن في حال اتجهنا نحو تقليص نمو السوق العقاري والزحف العمراني معًا، يطرح أحد الاحتمالات أن توفير المساكن يجب أن يعود مرة أخرى إلى كونه ضرورة، وليس التسرطن والانتشار من أجل البيع وزيادة الثروات. ويمكن أن يستفيد تباطؤ النمو في سوق العقارات من فكرة التعاونيات والمخططات التعاونية لتحسين إمكانية الوصول

الى السكن والقدرة على تحمل تكاليفه. فيمكن العودة قليلاً قبل سوق العقارات والمطورين ونعيد توزيع المساكن والقدرة على تحمل تكاليفها. هذا السيناريو، مع صعوبة تنفيذه، يتطلب الكثير من الإرادة السياسية الدافعة نحو التغيير وتكافل المجتمع. فمثلاً على نطاق المعماريين، يمكن الدفع بهم إلى أولوية الترويج إلى الإسكان المشترك والقابل للتعديل. قدَّمت مجتمعاتنا قبل التوحشات السرطانية العمرانية نماذج عديدة في فكرة الإسكان المشترك والعائلي. في تباطؤنا للنمو العمراني يوجد دور كبير لتكنولوجيا الاتصال الحديث مثل الإنترنت للترويج إلى الإسكان المشترك باعتباره يقدم حلول مبتكرة لامتلاك سكن آدمي. فبدلاً عن السعي والرغبة في امتلاك المزيد وبناء المزيد، سنفكك البناء إلى تقديم حلول حقيقية تلبي احتياجات الشريحة الكبرى التي لا تمتلك الحق في امتلاك عقارات في مساحات باهظة الثمن.

في مساحاتٍ أخرى يرتد البناء السرطاني العقاري في محاولات شد وجذب بين ما نحتاجه وما نريد أن تمتلكه الفئة الأكثر وفرة، أهاجم بعنف حاجتي لأن أكون ويقاومني بنو أرضي لحاجتهم في أن يزدادوا علوًّا في الأرض. بعد هذا أُقدِّم نموذجًا يحاكي كل سيناريوهات المحتملة لكل الأفراد المنخرطين. في تفكيك وتباطؤ نمو البناء السرطاني، مازالت تعلو الأصوات في انتظار أن نتجاوز رغباتنا في العلو والرفاهية وأن نعود معًا الى أرضنا سالمين.

لمن البناء اليوم؟
السرطان العقارى وارتداده على المناخ هل نحتاج لهذا الكم من التوسع العمرانى ؟؟؟
التطور العمرانى
حضارة - حروب - اضمحلال
الثورة الصناعية
★ تسليع الغذاء الاقتصادى ؟
★ فخاخ جيبون هيكل فى تفكيك النمو ؟
★ ما السيناريوهات فى حاله توقف النمو ؟

سلوك الاستهلاك والندرة الاصطناعية: هل المصري مستهلك بطبعه!

أسماء محمود عبده

سلوك الاستهلاك والندرة الاصطناعية: هل المصري مستهلك بطبعه!

هل خطر ببالك أن كل من يلجأ إلى العمل في مجال ريادة الأعمال أو التجارة الحرة في مصر ينجح؟ أم أن هذا مجرد تكهّن شخصي؟ استوقفني خبر قرأته (حسب ما أتذكر) أن أرباح شركة بيبسيكو سنة ٢٠٢١ قد بلغت ٦٠٠٪ زيادة خلال جائحة كورونا Covid-١٩.

في محاولة لفهم كيف يستطيع الأشخاص الازدهار وسط أزمات عالمية ومحلية محدقة، كالتغيرات المناخية أو الأزمات الاقتصادية، تساءلت: هل الموضوع مرتبط بالوضع المحلي المصري أم أنه أوسع من ذلك؟ للوهلة الأولى، أميل إلى طرح فرضية واستكشافها من خلال عينة بحثية بسيطة، وبعدها يمكننا أن نخرط في محاولات الإجابة. فرضيتي ببساطة:

مصر دولة مستهلِكة، وثقافة شعبها ثقافة استهلاكية بحتة. لكن الاستهلاك في مصر متغير جدًا وفقًا لعوامل كثيرة.

هنا قد نستطيع ربط السلوك الاستهلاكي بالندرة الاصطناعية التي تحدث عنها جيسون هيجل في نقده للوضع الاقتصادي القائم، ويمكننا أيضًا أن نحاول استكشاف علاقتهم بتباطؤ النمو – Degrowth.

السلوكيات الاستهلاكية وعواملها المؤثرة

السلوكيات الاستهلاكية، كما تعرفها علوم التسويق في ظل النظام الحالي، تشير إلى الأنماط والقرارات التي يتخذها الأفراد عند شراء السلع والخدمات واستخدامها. هذه السلوكيات تتأثر بعدة عوامل مثل الاقتصادية والنفسية والاجتماعية والثقافية. فهم هذه السلوكيات يساعد الشركات والمؤسسات على تطوير استراتيجيات تسويقية ناجحة يتم الترويج لها على أنها تلبي احتياجات المستهلكين، بينما هدفها الأساسي هو تحقيق ربح أكبر والتوسع في السوق.

تنقسم السلوكيات الاستهلاكية إلى أربعة أنواع:

١. **السلوك العقلاني**: عندما يتخذ المستهلك قرار شراء مستندًا إلى تحليل منطقي وواقعي، مثل مقارنة الأسعار وجودة المنتج.
٢. **السلوك الاندفاعي**: عندما يقوم المستهلك بشراء شيء ما بدون تخطيط مسبق، غالبًا بسبب تأثيرات نفسية أو تسويقية مفاجئة (مثل العروض والتخفيضات).
٣. **السلوك الترفيهي**: يُركّز المستهلك على التجارب والترفيه أكثر من القيمة العملية للمنتج (مثل السفر أو تناول الطعام في مطاعم فاخرة).
٤. **السلوك البيئي**: يُركّز المستهلك على المنتجات الصديقة للبيئة والمستدامة، بدافع الوعي البيئي أو الاجتماعي.

أما العوامل المؤثرة في هذه السلوكيات فتشمل:

- **الثقافية**: القيم والتقاليد تؤثر في اختيارات المستهلكين. في بعض الثقافات، تكون الأولوية للعائلة على حساب الاحتياجات الفردية.
- **الاجتماعية**: التأثيرات من الأصدقاء والأسرة والمجتمع.
- **النفسية**: الدوافع الشخصية مثل الاحتياجات والرغبات والعواطف.
- **الاقتصادية**: الدخل الشخصي ومستوى الثروة.
- **التكنولوجية**: التجارة الإلكترونية والمنصات الرقمية سهّلت الوصول إلى المعلومات والمقارنة بين المنتجات.

الندرة الاصطناعية: أداة لتعزيز الاستهلاك

الندرة، في جوهرها، هي أداة تُستخدم لتعزيز الحاجة وتحفيز السلوكيات الاستهلاكية. في مجال التسويق، تُوظَّف الندرة لخلق شعور بأن المنتج أو الخدمة نادرة أو مميزة وقريبة النفاد، مما يدفع المستهلكين لاتخاذ قرارات شراء أسرع. هذا الأسلوب لا يُحفّز فقط السلوكيات الاستهلاكية ويعزز المبيعات، بل يعمّق توغل الرأسمالية في حياتنا اليومية.

أما على مستوى الاقتصاد الكلي، فالندرة ليست دائمًا نتيجة نقص حقيقي في الموارد، بل كثيرًا ما تكون حالة مصطنعة تُنتجها الرأسمالية للحفاظ على استمرارية نظامها. ورغم أن الإنتاجية تجاوزت منذ زمن النقطة التي تحقق الوفرة المادية، فإن مكاسب هذه الإنتاجية لا تُترجم إلى تخفيض ساعات العمل أو تحسين الأجور. على العكس، تُستخدم لتعميق الفجوة بين الطبقات وزيادة أرباح الرأسماليين، مع إبقاء شبح البطالة قائمًا لإجبار العمال على الالتزام بالإنتاجية العالية.

تأثير الندرة الاصطناعية في حياتنا اليومية

بعض الأمثلة الشائعة على الندرة الاصطناعية تشمل:

١. **تقييد الإنتاج أو العرض**: مثل تقليل إنتاج بعض المنتجات عمدًا لزيادة الطلب عليها.
٢. **التحكم في الوصول**: فرض قيود على الوصول إلى موارد أو معلومات معينة.
٣. **التسعير المبالغ فيه**: رفع الأسعار لجعل المنتجات تبدو نادرة.

هذا التأثير يظهر جليًا في المنتجات التي نستهلكها يوميًا. على سبيل المثال:

- **الهاليرونيك أسيد**: منتج يجذب السيدات بسبب الخوف من تقدم العمر.
- **الأجهزة الرياضية المنزلية**: تروج للخوف من صعوبة الحركة مع التقدم بالسن.
- **السيارة الشخصية**: أداة لخلق مكانة اجتماعية معينة، رغم وجود بدائل كالمواصلات العامة.

العلاقة بين تباطؤ النمو والندرة الاصطناعية

"تباطؤ النمو" هو مفهوم يدعو إلى تقليل الصناعات لتحقيق أهداف بيئية واجتماعية، مثل تقليل الانبعاثات الضارة والتلوث البيئي. لكن في ظل نظام يكرّس الندرة الاصطناعية، تصبح هذه الفكرة شبه مستحيلة. الرأسمالية تخلق حاجة دائمة للاستهلاك وتعزز الأنماط الاستهلاكية الملوثة للبيئة.

أنماط استهلاك المصريين: أمثلة عملية

اختلاف نمط الحياة بين المحافظات يؤثر على السلوك الاستهلاكي. من خلال استطلاع بسيط:

- **القاهرة:**
  - جنة: تطبيق طلبات، كبديل للشراء التقليدي.
  - رودينا: الفرن الحراري (الميكروويف) كبديل للأفران العادية.
  - تقي: الساعة الذكية كبديل للساعة العادية.
- **الإسكندرية:**
  - هبة: الكتب الورقية كبديل للكتب الإلكترونية.
  - إيمان: السيارة الشخصية كبديل للمواصلات العامة.
  - هنا: كريمات البشرة باهظة الثمن كبديل للمنتجات الطبيعية.

الحياة في القاهرة والإسكندرية سريعة وديناميكية، مما يعزز الاستهلاك بشكل متسارع. كمصرية مقيمة بالإسكندرية، أرى أن تطبيق تباطؤ النمو في مصر شبه مستحيل بسبب سيطرة الرأسمالية. لكن هناك أمل في تغيير ثقافة الشعب تدريجيًا.

الفرد المنتج أقل تأثرًا بالتضخم من الفرد المستهلك فقط. لذا، يجب أن نبدأ بتغيير طريقة التفكير تجاه الاستهلاك وتبني أنماط حياة أكثر استدامة.

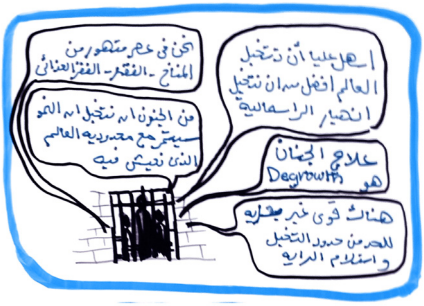
نحن في عصر متفجر من المناخ - الفقر - الفقر العنائي
من الجنون ان نتخيل ان النمو سيتم دمج معدل في العالم الذي نعيش فيه
اهم علينا ان نتخيل العالم افضل سوان نتخيل انهيار الرأسمالية
علاج الجنان هو Degrowth
هناك قوى غير مجدية للحد من حدود التخيل واستدام الرأي

استعادة حق الخيال المسلوب: تباطؤ النمو والواقعية الرأسمالية

ردينة خالد

استعادة حق الخيال المسلوب: تباطؤ النمو والواقعية الرأسمالية

في كتابه *Capitalist Realism*، يرى مارك فيشر في فصله الأول بعنوان: «يسهل تخيل نهاية العالم على تخيل نهاية الرأسمالية»، أن الرأسمالية في طورها الحالي تتعمد تحديد وتحجيم مساحات الخيال المسموحة لظهور أي أفكار معادية أو ثورية ضد النظام القائم، عوضًا عن انتظاره لاستقبال الأفكار ومن ثم انتشارها وتحجيمها، لتندمج بسلام- إن ظهرت- في نفس النظام المعادية له، فعندما تسيطر على حدود التفكير من البداية ستضمن انهزام الفرد والجماعة أمام أي قدرٍ من الظلم، والأخطر التسليم بعدم وجود أي جدوى من تخيل بديل.

إننا حاليًا وبلا شك في عصر التدهور المتزايد والمتنامي للبيئة ومكوناتها المادية والبشرية لخلق أشكال من الرفاه للأفراد واستمرار النمو الاقتصادي. فتتكدس الثروات في أيدي أفراد ومجموعات بعينها دونًا عن غيرها، بل على حساب غيرها كنتيجة لهذا النمو.

يحدث ذلك عن طريق استنزاف الموارد الطبيعية المتاحة والقوة العمالية البشرية- الرخيصة- دون الأخذ في الاعتبار محدودية الموارد الطبيعية أو ندرتها والدمار الذي يسببه ذلك الاستنزاف لقدرات الأنظمة البيئية والحيوية على إعادة الإنتاج، مما يهدد جميع أشكال الحياة على الأرض. أما بالنسبة للموارد البشرية، فلا يُؤخذ بعين الاعتبار أي حقوق إنسانية للبشر خارج الحدود الجغرافية للدول الصناعية المُنتجة وتحديدًا الشمالية منها أو البشر خارج الحدود الطبقية للمنتفعين من هذا النمط داخل تلك البلاد ذاتها.

تنتظر الفئات المتأثرة ظلمًا بهذا النمط هلاكها إما عن طريق نهب مواردها مباشرةً أو استعبادها في وكالات الظلم المسماة بالمصانع في بلادها، حيث لا يتلقى العمال أي نوع من التأمين المادي أو الصحي مقابل عملهم أغلب ساعات اليوم لإنتاج سلع رخيصة لمستهلكيها، لكنها أبدا لم تكن

رخيصة لصانعيها بل كان ثمنها صحتهم ووقتهم، بل وأرواحهم كما حدث سابقًا[٨] في أحد مصانع بنجلاديش لملابس الموضة السريعة عام ٢٠١٣، أو موتها إما برصاص وقذائف مصنوعة بضرائب مستهلكي تلك السلع في الشمال بأيدي أفقر عمالهم أو المهاجرين إليهم، أو بكارثة بيئية تتزايد نسبة حدوثها وحدتها. هذا ناهيك عن فشل دولنا في التجهيز المسبق والتصدي لتلك الكوارث (كارثة درنة ٢٠٢٣ مثالاً[٩]) إما بسبب الفساد الداخلي أو تأثرًا بتبعات الاستعمار التقليدي أو الحديث منه بشكله الإمبريالي أو في حالات أكثر يكون كليهما. وعلى الرغم من أن مشاركة تلك الدول ومواطنيها في التغيرات البيئية والمناخية هي أعشار من نسب غيرها من الدولة «المتقدمة»، فالنتيجة هي صورة قبيحة وهشة لأشباه دول إما إنها تابعة اقتصاديًا لمستعمرها السابق مباشرةً، كحال بعض الدول الإفريقية مع فرنسا، أو بصورة غير مباشرة عن طريق الزج بالديكتاتوريات المحلية والفاشية القامعة لشعوبها، مادامت ستحافظ على مصالح قواها الاستعمارية السابقة أو حتى قوى جديدة مع احتفاظ الوكلاء المحليين بنصيبهم من الكعكة، أو في سيناريو ثالث، دعم الانقلابات على الأنظمة الديموقراطية المتجهة نحو أي إصلاح اجتماعي حتى المتماهية منها مع الرأسمالية والمركزية البيضاء أحيانًا كما تكرر عدة مرات في أمريكا الجنوبية.

ما العمل؟

في محاولة للخروج من الدوائر المفرغة للظلم والاستغلال يقترح بعض المنظرين الـdegrowth، أو كما أفضل ترجمتها للعربية «تفكيك النمو» لما تتناسب فيه مع تساؤلي في هذا النص عن إطار التفكير أكثر من الميل للجزم بشكل مسبق عن وصولي إلى حل.

وتفكيك النمو هو مفهوم نقدي لشكل النمو التصاعدي اللامتناهي لاقتصادات الدول المُنتجة خصوصًا في الشمال العالمي وأنماط الإنتاج القائمة على استنزاف الموارد بلا رقيب أو حسيب، ومن بعدها أنماط الاستهلاك الزائد عن حده المُحفَز بالخوف والندرة المصطنعة وأوهام الترقي الطبقي بدلاً عن الحاجة، لما لهم من آثار كارثية على العدالة الاجتماعية والأنظمة البيئية.

٨- https://en.wikipedia.org/wiki/Rana_Plaza_collapse

٩- https://news.un.org/en/story/2023/09/1140892

يرى منظرو تفكيك النمو أنه على الدول المتقدمة ضرورة البدء في تقليص معدل نموها وعدولها عن أنماط استهلاكها؛ وهو ما قد يخفف الضغط على الموارد، حيث يُوفّر مساحة أوسع للدول النامية للنمو لكن بحسب مفهومها وإرثها الثقافي عن النمو، عوضًا عن المفهوم المُوحَد الناتج عن ظروف تاريخية استعمارية والشكل المُشوّه للرفاه والذي بات غير مناسب للواقع الحالي خصوصًا مع اشتداد الأزمة البيئية. كما يسمح أيضًا باستقلالية الدول النامية والناجية من الاستعمار وتحكمها- نظريًا على الأقل- في مصير شعوبها. يُركّز هذا النص على مقترحات تفكيك النمو في الدول النامية ذات الدخل المنخفض و/ أو القدرة الإنتاجية المحدودة، وفيما يمكن أن تعرّف- بالمقابلة لتحديد دول الشمال العالمي كمراكز منتجة ذات دخل مرتفع سابقًا خلال النص- بدول الجنوب العالمي. ويبقى هنا السؤال بالنسبة لنا أبناء تلك الدول النامية: كيف نُطبّق تفكيك النمو في سياقات محلية؟ وأي إرث ثقافي نحن بصدد استخدامه؟ وماذا عن المجتمعات التي حُرمت وتحرم من الوصول لهذا الإرث؟ وهل بتوقف نمو الدول الصناعية نكون قد تحررنا كفاية لنكون أصحاب قرار لا مجرد بحار من الموارد؟

خلال اليومين اللذين سبقا كتابة هذا النص كمخرج تعلم لأحد دوائر النقاش التي دارت جلساتها حول تفكيك النمو، بدايةً من المصطلح ذاته ووقع اللغة والترجمة على فهمنا له وهو ما أخذ نصيب الأسد من النقاشات، تراكمت محاولات تموضعنا، بدايةً من اشتراكنا جميعًا في كوننا أبناء البلاد المنهوبة، ثم بدأنا في التشعب حسب الخلفيات الثقافية والخبرات المختلفة للمشاركين، ثم فهم بعض النصوص الخاصة بالطرح و تأويلاتنا لها، حتى انتهت النقاشات قبل بدء الكتابة إلى تساؤلات عن مفهوم القيمة ذاته ومعايير قياس النمو (الناتج المحلي الإجمالي GDP مثلاً) والتي لا تعكس بالضرورة واقع المؤشرات الاجتماعية المختلفة كالصحة والتعليم والعدالة وغيرها، ومنه عن جدوى النضال من أجل تطبيق الأفكار المطروحة في ظل توجس من مصيرنا المجهول فيما بعد تفكيك النمو في الشمال والذي لا يعني بالضرورة نجاح السياسات المقابلة في الجنوب، حيث أكد لنا نفس العالم مرارًا و تكرارًا على تدني قيمة حيواتنا كلما اشتدت الأزمات، كورونا و أزمة اللقاحات مثالاً[١٠].

١٠- https://link.springer.com/article/10.1007/s00281-023-00998-0#Sec2

أثارت تلك التساؤلات تخوفات ملحوظة عند بعض المشاركين لم يسعني إلا ربطها بما كتب فيشر مسبقًا عن كبح الرأسمالية جماح خيال محكوميها، بتفريغ المعني من فكرة الخيال في ذاته بعد عزل الإنسان عن مشكلاته ليتحول إلى مراقب في حياته نفسها وليس مشتبك متفاعل. يقول فيشر:

الرأسمالية هي ما يتبقى عندما تنهار المعتقدات على مستوى الطقوس أو الرموز، ويصبح كل ما يتبقى هو المستهلك-المشاهد، يسير بتثاقل بين الأنقاض والبقايا. لكن هذا الانتقال من الاعتقاد إلى الجماليات، ومن الانخراط إلى المشاهدة، يُعد أحد فضائل الواقعية الرأسمالية. وبدعوى، كما يقول باديو، أنها «أنقذتنا من «التجريدات القاتلة» التي ألهمتها «إيديولوجيات الماضي»»، تقدم الواقعية الرأسمالية نفسها كدرع يحمي من المخاطر التي يطرحها الاعتقاد نفسه. إن التباعد التهكمي الذي يميز الرأسمالية ما بعد الحداثة يُفترض أنه يحصننا من إغراءات التعصب. فنحن، حين نخفض من سقف توقعاتنا، يُقال لنا إننا ندفع ثمنًا صغيرًا مقابل الحماية من الإرهاب والشمولية.

شخصيًا لم أصل لرأي كامل عن تفكيك النو أو حتى تصور عن سياقه المحلي، وأعتقد من التوجس الذي أحسسته في عيون المشاركين في النقاش أنه من المهم التركيز على تأكدنا من قدرتنا على التخيل أولًا، قبل الانغماس في محاولة طرح الحل. استعادة خيالنا المسلوب هو أكثر خطوة ثورية يمكننا اتخاذها على طول الطريق، وتحديدًا لكوننا على مستويات عدة على قدر من الرفاهية التي أتاحت لنا التواجد في حلقة كهذه، من مؤهلات تعليم عليا- والذي أصبح سلعة بدلاً عن حق، ومقدرة جسدية ومادية، ورفاهية الوقت والمساحة، لتحليل تصورات مختلفة لواقعنا عوضًا عن الاضطرار للانغماس فيه بشكل دائم لا يسمح بالتفكير في أكثر من قابلية تحصيل الإيجار الشهري للسكن أو الوصول لوجبة غذائية واحدة على الأقل في اليوم، وهو حال غالبيتنا في الدول النامية.

وانطلاقًا من هذا الموقع، لا أؤمن في وجود رفاهية الاستسلام واليأس في ذاتها لنا، فهي الآن ضرورة ملحة وأقل القليل في مجابهة النظام القائم من موقعنا.

ختامًا، اعتبر نفسي في موضع الخائن إن وجدتني يومًا غارقة في الانهزامية والعدمية اللتان يُسمحان لي كهامش رفاهية بعد اطمئناني لتحصيلي القدر الكافي من الاحتياجات الأساسية اليومية، عكس أغلبية شعبي، وعادة ما استعين بأصدقائي- كما أحب تصورهم- من الأوساط الفنية والأدبية لانتشال نفسي من تلك الحالة. «ونعيد» لمشروع ليلى هي مثال لتلك المحاولات في استعادة حقي في التخيل:

فينا ننطر الفجر لنخلص عد النجوم

ونعيد ونعيد ونعيد

فينا نحمل الصخر فوق الجبل ونرميه

ونعيد ونعيد ونعيد

فينا نفتح عينينا لما يرموا فيها تراب

قلّن لسا شايفين

فينا نرفض ناكل بعض ولو الناس شافت عظامنا

قلِّن مش جيعانين

فينا نزعزع لينهار القفص اللي صرناه

قلي من شو خايفين

فينا نقاوم ليهلك الخيال اللي حاربناه

قلِّن لسا صامدين

فينا نحلق فينا نطير لما نرضى بالزحف

تطبيقات ونماذج عمرانية

قلة تجارب التوثيق للتقليص النمو

تقليص النمو مش فى مصر بس

انتشار المدن الجديدة مثل الخلية السرطانية

رأس

النمو العمرانى

أفقى

داخلى

توزيع غير عادل للموارد

الإحلال الطبقى

١٠٪ من سكان القاهرة تم نقلهم

التوزيع العمرانى معتمد على المنتجات

8٪

صناعة الاسمنت

40% CO_2 انبعاثات كربون

QNET

النمو العقارى

النمو العمرانى

حجم استثمارى

استثمار

المدن الجديدة

خزان مياه

مسرح

اعادة الإستخدام

المبنى مثال مثل خزانات المياه واعادة استخدامه

إستخدام خامات معاد تدويرها من البيئة مثل الطين والبلاستك

المشاركة الشعبية

التوعية

يجب اعادة تخدام فكر الاستدامة فى المدن الجديدة

يمكن وضع سياسات للسوء لحل المشكلات

٣

الباب الثالث:
محاولات التطبيق

"والعمل؟ نظام شمولي يدّعي الرشادة!"

"والعمل؟ نظام شمولي يدّعي الرشادة!"

إذا منحمل الشتي المصير يجي الربيع
قلن لسا واقفين

حاول/ت بعض المشاركين/ات تخطي نقاشات المفاهيم وتحليلها والقفز إلى التطبيق. فلا شك كلنا نريد هذا الشيء الجميل، الحلم الطوباوي بعيد المنال. لكننا الآن نحاول الوصول إليه من داخل نظام آخر قائم وفعّال ويقاوم ويعيش عليه البشر لقرون. رأى البعض أن الحل (مرة أخرى) فردي، وأنه بمجرد تغيير بعض السلوكيات الفردية والقرارات الحياتية اليومية يُمكن أن يتغير النظام. بِقَول آخر، إذا عاد كل شخص لقريته وعمل على مجتمعه وتنميته أو إذا قلل كل شخص من معدلات استهلاكه فسيعم الخير والسلام في الأرض. وفي نفس الاتجاه، رأى البعض أن الحل في التخلي عن بعض الامتيازات الشخصية من أجل حياة أفضل للجميع.

رأى آخرون هذه الأفكار أحلام لا تُغني ولا تسمن من جوع، فاتجهوا إلى حلول تطبيقية يمكن تنفيذها داخل النظام الحالي والتي قد تكون نواة لنظام آخر: التعاونيات مثلاً حل لدمقرطة وسائل الإنتاج وبالتالي القدرة على التغيير أصلاً. ويظهر هنا الجدال الشهير بصورة خفية بين الكتّابات التي تعرضت للتطبيق: نحرق هالمدينة، ونعمر واحدة أفضل؟ أم نعيد تفكيك المدينة وبنائها مبنى تلو الآخر؟ تساؤلات مشروعة ومكررة، لكن يظهر هنا السؤال الملح في النقاشات جلياً: هل سيكون هذا التغيير بلا ثمن؟

«ونعيد، ونعيد، ونعيد، ...» - أغنية لفريق مشروع ليلى

بالحديث عن ثمن التغيير، استعاد/ت الكثير من المشاركين/ات الأثمان المدفوعة في محاولات التغيير في العِقد الأخير، مازالت محفورة في ذاكرتنا الجمعية نحن أبناء هذه الفترة وأبناء هذا النظام العالمي. ما ثمن التغيير؟ والأهم، من سيدفع الثمن؟ وإذا دفعنا جميعًا الثمن، فهل سندفعه بالتساوي؟ في الحقيقة، مفاوضات مؤتمرات التغيير المناخي لا تُبشِر بالخير.

تعرضت العديد من الكتّابات والنقاشات لهذا السؤال. أجمع العديد على أن الثمن لن يكون بسيطًا. فالرأسمالية ليست هذا الحَمَل الوديع الذي لن يدافع عن نفسه لبقائه (كما فعل سابقًا كلما مر بأزمة هي من نتاجه أصلاً). هل هذا صراع بين الرأسمالية والطبيعة؟ أم هو صراع بين الرأسمالية وضحاياها؟ هل مصيرنا سيكون الانعزال وتصبح هناك مجموعات متفرقة من "ناقصي النمو" المبعثرين في هذا الكوكب الذي سيظل خاضع لنفس النظام الرأسمالي؟ يبدو أنه مازال من الصعب علينا تخيل الهدوء بعد العاصفة. يبدو أن الطائرة لم تخرس بَعد وأن العصافير ليست هنا أصلاً.

رسائل الهدهد

سليمان حسام

رسائل الهدهد

الرسالة الأولى

إلى أصدقائي المحبين،

إلى تلك المساحة الآمنة،

إلى أهل المختبر الحضري العمراني،

وإلى طرح تصحيح النمو،

تحية طيبة وبعد،

اكتب لكم من موقعي هذا ومن عصر جديد، بعد أن هدأت الحياة. فقد استطعنا كسر التسييج، وتوسيع مساحات تواجدنا في هوامش لا تطولها الرأسمالية. فالجشع البشري لم يعد محركا الأساسي، ولا أحد يسعى إلى امتلاك أكثر نصيب من الأموال، أو بناء أطول مبان، أو حتى إنجاب أكثر عدد من الأبناء. انهزم العالم المتمحور حول الجشع البشري الذي لا يُشبع.

كنت قد تركت مصرنا الحبيبة لفترة ليست بقليلة متنقلاً من مساحة إلى أخرى ومن قمة مناخ إلى أخرى، مناضلاً لأجلي ولأجل هذا العالم الحزين. كدنا أن نفقد الأمل، حتى استجابت الطبيعة الأم لنا وانقلبت الموازين. عدت إلى مصر وقضيت أهدأ وأسعد أيام حياتي، وأنا أرى الجميع هنا يشعرون بطعم الحياة معًا ولأول مرة منذ نعومة أظافري.

عامًا خلف عام وأنا أرى ازدهارًا في قلوب المصريين يظهر على وجوههم. أصبح لدينا الحق في التعليم والاسترخاء والتعبير، وأخيرًا وُجدت مساحة جماعية للتغيير. أشعر بالغبطة تجاه أخي الصغير والجيل الأصغر لتوفر هذه المساحة الرائعة للشعور بالحياة. كما أشعر بالرضا الشديد كوني كنت جزءًا من هذه الرحلة معانيًا ومراقبًا ومناضلاً، تحديدًا بعد الوصول.

أصبحت حياتنا أسهل حاليًا بعد أن أصبح العالم يُفكر كيف يوظف ما وصلنا له من الذكاء الاصطناعي لمساعدة العالم على الصمود. شبكة الإنترنت حقًا رائعة. هل تتخيلون أن المرور أصبح هادئًا ساكنًا سالمًا، وأن المياه أصبحت متوفرة؟ وأخيرًا تحقق مفهوم الوفرة الجذرية- الذي لم أكن قد فهمته بعد. أزعم أنه بدون استخدام هذه التقنيات ما كنا لنستطيع الوصول لهذه النقطة. كما أزعم أنه وإن وُجدت كل التقنيات والتسهيلات ما كنا لنصل لشيء لولا عزمنا على التغيير. أنا ممتن حقًا لقدرتي على احتساء القهوة وأنها لن تنقرض كما أخبرونا وقتها.

يملاني الشعور بالحزن أننا استغرقنا كل هذا الوقت للوصول إلى هذا. كما كلفنا هذا الوقت كثيرًا ممن نحب؛ خسرنا بعض الأصدقاء في هذه الرحلة، وخسرنا مساحات رائعة لطالما أحببتها من عروس البحر المتوسط.

لكننا بخير.

تحياتي لكم،

سليمان، هدهدكم المفضل

الرسالة الثانية

اكتب لأني يغمرني الشعور بالغربة مرة أخرى.

إلى الرأسمالية والتغيرات المناخية والبنوك الدولية وأصدقائهم،

لا أهلاً ولا سهلاً، كم كنت أتمنى هلاككم!

نجحتم في جعل هواء الحياة يوترني بعد أن تسارعت الحركة وعاد السباق لما كان عليه. نركض ونركض وأرى ذاك الطريق بلا نهاية. وها هي الوجوه التي لطالما شعرت بغربتي بجوارها «كلنا هنا بائسين وجرحى بما فيه الكفاية فلا تحاول أن تعيش أمامي بأمل».

يا تري فيما أخطأنا ولما لم ينجح الأمر، بعد أن شعرت بالحياة بالفعل؟ لماذا؟

هل تسرعنا؟ أم أننا اتخذنا الطريق الخاطئ؟ أم أنه كان وهمًا من البداية وأن حياة الغاب هي الحياة الوحيدة التي يعرفها هذا الكوكب؟
يبدو أن اللغة الوحيدة التي يفهمها العالم هي لغة القوة والسلطة.

تمنيت لو أن هناك طريقة ما أستطيع بها العودة بالزمن للوراء وانهض مع من صمموا من أصدقائي على عدم قابلية تحقيق مفهوم تصحيح النمو كما فهمناه. كنت لأكون عازمًا على الحصول على القوة والسلطة. كنت لأفني هذا العمر الذي مضى مجاهدًا بالسعي إلى كسب أكبر سمات القوة الممكنة. كنت لأتبنى الرأسمالية قاصدًا قمة غابة شياطين الأنس. كنت لأتبع نفس الأساليب الدنيئة التي اتبعها الطرف الآخر حتى تأتي فرصتي بالسيطرة على العالم. الفرق الوحيد بيني وبينهم هي النية التي تُنفذ بها هذه الجرائم البشعة. منهجيتي ستكون إثبات كوني الأقوى ليسمعوني، وليس لأني خائف من سيطرة طرف آخر يستطيع نهبي.

تخيلنا أننا كسبناهم بالفعل، ولكن الحقيقة أنهم هاودونا- مثل كل مرة- حتى يتمكنوا من السيطرة ثانيةً ونهبنا.

حلمنا كان السلام للجميع. وحلمهم كان الهلاك لكل من ليس منهم، بل وكل من كان منهم ولم يتواطأ معهم.

ختامًا، ها أنا أؤكد لكم أن النار بالنار حتى للطرف الأقل شرًا.
مع خالص كرهي،
خصيمكم سليمان.

الرسالة الثالثة

الوصفة السحرية لتصحيح النمو

إلى أصدقائي المفكرين والمشغولين بالشأن العام،

وإلى هؤلاء الذين أوشكوا على فقدان الأمل وإيجاد حلول،

أود أن أطمئنكم أن سؤال ما الحل ما زال يشغلني ليل نهار.

أفكر أن الحل هو التغيير. نحن من يحتاج التغيير وليس البيئة. نحن من يقرر التغيير ونحن من نبدأه. طيب، أليس تصحيح النمو تغييرًا؟

أرى أن تصحيح النمو تغيير مطلوب ورائع، ولذلك سينجح في تحقيق ما نحلم من حياة حقيقية مستقرة وبها مساحة لسعادة غير مصطنعة أو ملوثة. ولكن كما وصفت بالرسالة ما هو إلا حل مؤقت ما لم تظل القوة في يد من يحبون الحياة للجميع. ولن يتحقق هذا إلا بوجود وعي جمعي مستدام عن مخاطر النمو الاقتصادي السريع وعدم اعتبار احتياجات البشر كلهم في الحسبان.

ولذا فإنه علينا أن نحرص ونحن نسعى لغرس فسائلنا أن يرانا الجميع وأن نساعدهم في غرس فسائلهم، آملين أن نريهم حقيقة الأمر، حقيقة أن الواحد للجميع والجميع للواحد.

فدعوني اكتب لكم الوصفة، ورقة وقلم يا ست الكل.

الخطوة الأولى تجاه الوصول هي حتمًا أن نعرف لغة قوم لنأمن شرهم، أي أن بادئ الأمر يقتضي أن نفهم جيدًا منهجية الطرف الآخر وآليات استدامته كطرف مستبد.

الخطوة الثانية: تحصيل القوة الكافية للاستحواذ على السلطة.

الخطوة الثالثة: أن نحدد كيف لنا أن نصبوا مستدامين على القمة، نتيقن من وضع ما يضمن استدامة الوعي لدى العامة مما يضمن لهم الصمود أمام الطبيعة البشرية المتسلطة، أي أننا نحتاج لنظام دفاعي ساحق لكل حالة ثعلب وأفعى جديدة.

أتمنى أن نصل للحل سويًا.

تحياتي وإخلاصي،

سليمان

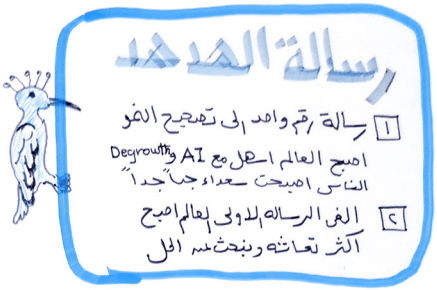
رسالة المدد
١ رسالة رقم واحد الى تصحيح الغو
اصبح العالم اسهل مع AI و Degrowth
الناس اصبحت سعداء جداً جداً
٢ الفي الرسالة الاولى لعالم اصبح
اكثر تعاطفه وتبحث عن الحل

لمن الحق في اللانمو؟

صفاء يوسف

لمن الحق في اللانمو؟

أنا المواطن الذي يعيش في العالم الجنوبي، المُقيّد بما يفرضه الشمال الأبيض من مفاهيم تتعلق بالتقدم والرفاهية على مجتمعي. أعيش كمواطن استهلاكي يعتمد بشكل كلي كامل على ما يصنعه الآخرون. أشارك في زيادة رأس مال صاحب المصنع والإنتاج الضخم. ولكن التساؤل الذي يطرح نفسه: ما الذي امتلكه من قدرة على اتخاذ قرارات تتعلق بنموي ورفاهيتي وقدرتي على البقاء على قيد الحياة؟ فقد أصبحت ترسًا من تروس هذه المنظومة.

صراحةً، لا أدري متى يمكنني كسر القيود المفروضة على عقلي، والتي أصبحت أدرك أنها شبه وهمية. بعد إمعان النظر إلى الآخرين الذين قرروا كسر القيود واستطاعوا خلق واقع بديل، اتضح لي إنهم أفراد. لا تُقاس ثروتهم بالذهب أو المال، وإنما بتلك اللحظات حين يشعرون فيها بالنسيم يمر عبر تلك المزروعات في ذلك الحقل الممتد على مد البصر، أو في مراقبة وانتظار تلك البذرة تنبض بالحياة تحت أشعة الشمس. إنهم أفراد متأصلون كجذور الأشجار تتشبع بمعانٍ أعمق، تصقل قدرات الصبر والتكيف مع التغيرات. يبدو أن المثابرة على صقل هذه القدرات هي المفتاح للحياة.

على ما يبدو لكي نصل إلى الوجهة التي نريد الوصول إليها، علينا أن نتجرد بعض الشيء من امتيازات هذه المنظومة حتى نصل إلى ما نطمح إليه. لكن، هل نمتلك امتيازًا بالأصل، أم أنه وهم مستمر يأتي كنتاج للقيود التي ارتضيناها؟ هل نضع جانبًا تعريفاتنا الخاصة التي تناسبنا فيما يتعلق بالتقدم والرفاهية، أم ننشغل بالغوص في بعض تجارب الاخرين لعلنا نجد سردية مختلفة عن تلك التي تفرض علينا، أو سردية نستطيع الانتماء لها؟

مفهوم «الوفرة الجذرية»، كما فهمته، هو دعوى لتقليل الاستهلاك والإنتاج المفرطين كوسيلة للتعامل مع التحديات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، ووضع الإنسان في قلب المنظومة

الاقتصادية بدلاً عن كونه فقط متأثرًا بها. من خلال قراءتي لمفهوم الوفرة الجذرية، يرى جاسون هيكل أن هناك حاجة للتخلي عن النمو الاقتصادي التقليدي وتقليل الاستهلاك المادي الذي تفرضه علينا الأنظمة الاقتصادية الحالية كضرورة، والتركيز على تحسين جودة حياة الأفراد والمجتمعات بدلاً عن تركيز الربح الاقتصادي وتراكم الثروات، وذلك من خلال توزيع الموارد والثروات المتاحة بشكل عادل لتحقيق العدالة الاجتماعية. سوف يتطلب ذلك التركيز والاهتمام بالموارد المشتركة وتحسينها وتوسيعها وجعلها متاحة للأفراد، مما يساعدهم على التحرر من الندرة المصطنعة للموارد التي يفرضها النظام الاقتصادي بالرغم من التوافر الفعلي لهذه الموارد والذي يجعل الوصول إليها مكلفًا وغير متاح، ولكنه يستخدم الندرة كوسيلة للسيطرة عليها وتحقيق أرباح أكثر.

على ما يبدو إن هذه الأنظمة فرضت علينا التحول إلى مجتمعات استهلاكية، وإلا سوف يتم الحكم عليها وتصنيفها بأنها مجتمعات متأخرة لا تلحق بموكب التطور والحضارة. من الطبيعي أن يكون الإنسان مستهلكًا لكي يبقى على قيد الحياة كما حال جميع الكائنات الحية. ولكن الاستهلاك المفرط يدعونا إلى إعادة تعريف الاستهلاك في مجتمعاتنا النامية، لأن استنزاف مواردنا يقودنا مباشرةً إلى الهلاك المحقق.

في هذا السياق، يُطرح تساؤل هام عن قدرة الأفراد على التحكم في النمو، ومدى كفاية قدرتنا على تحدي الأنظمة الاقتصادية والسياسية. لست في عجلة من أمري للوصول إلى إجابة، فأنا أدرك محدوديتي البشرية تجاه تلك الأنظمة العالمية. ليس ذلك فحسب، لكني فقدت الثقة فيما يمكن أن يُقدمه النظام لنا حتى في أكثر حالاته رفقًا بنا.

فكرت مرارًا، هل نجح بعض الأشخاص المحدودين مثلي ومثل مجتمعي وعشيرتي التي أعرفها في تحقيق تلك الأطروحات؟ بحثت، ودعونا أولاً نستعرض بعض التجارب لنقرر هذا سويًا.

تعاونيات غوجارات الهندية Amul

دعوني أولاً استعرض ما هي التعاونيات. حسب تعريف الأمم المتحدة، هي «جماعة مستقلة من

الأشخاص يتحدون اختياريًا لتلبية احتياجاتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتطلعاتهم المشتركة، من خلال الملكية الجماعية لمشروع تتوافر فيه ديمقراطية الإدارة والرقابة».

AMUL هو اختصار لـAnand Milk Union Limited، وهي تعاونية لمنتجات الألبان تأسست في ولاية غوجارات بالهند في سبعينيات القرن الماضي، كرد فعل لاستغلال الوسطاء لمزارعي الألبان في الولاية. كان المزارعون يعانون من الأسعار المنخفضة والظروف غير العادلة، مما دفعهم إلى الاتحاد سويًا وإنشاء تعاونية تُمكّنهم من بيع الحليب مباشرةً دون وسيط والحصول على عائداتٍ أفضل. ونجحت في تمكين المزارعين وتعزيز التنمية الريفية بالولاية في هذا الوقت، وأصبحت نموذج أعمال تعاوني ناجح وساهمت بشكل كبير في جعل الهند أكبر منتج للحليب في العالم، حيث تنتج ٢٤٪ من الإنتاج العالمي. تتطور الأمر ليضم الاتحاد التعاوني ١٨ اتحادًا فرعيًا و٣,٦ مليون مزارع في ١٨,٦٠٠ قرية.

وبعد نجاح التجربة، تطمح أمول الآن في أن تصبح شركة بقيمة تريليون روبية بحلول السنة المالية ٢٠٢٥-٢٠٢٦، وهو انعكاس لنمو قطاع الألبان في الهند بنسبة ٦٪ سنويًا، متجاوزًا المتوسط العالمي البالغ ٢٪. وعلى ما يبدو إن ملكية المزارعين وسيطرتهم على التعاونية كان له دورًا حاسمًا في نجاحها.

هل ساعدت التعاونيات في تعزيز السيادة الغذائية، وحمت حقوق الفلاحين، ودعمت الزراعة؟ الإجابة الحالية والسريعة هي نعم، حققت التنمية المجتمعية وقللت الفقر وعززت الاكتفاء الذاتي، كما ساعدت في تقليل الاعتماد على الاقتصاديات العالمية الضخمة.

أثار هذا النجاح رغبة داخل النظام لخلق أذرع لضم هذا النوع من التجارب ليكون جزءًا منها ولا يخرج عن سيطرته. فهل يعد هذا نجاحًا في تحقيق وفرة جذرية داخل نظام لا يرى الجذور إلا فرصة لتكاثرٍ مصطنع؟

فطموح تعاونية أمول، أو أي كيان قرر التمرد والخروج عن المنظومة ليحقق العدالة والوفرة والكرامة،

تغير هدفها أثناء التجربة ليتحول الهدف السامي إلى ظلاً من ظلال المنظومة نفسها التي أراد مقاومتها. وهو ما يثير العديد من التساؤلات: هل الرغبة في التوسع والهيمنة والسيطرة والمنافسة العالمية لن يكون له تأثيرًا سلبيًا على المنافسة الطرفين وعلى فرص الآخرين الذين لا يتمتعون بالامتيازات؟ وهل هذه الرغبة البشرية في التطور والنمو قد تدفعنا مرة أخرى لتصبح جزءًا من المنظومة التي نطمح في التحرر منها والحد من سيطرتها؟

دعونا نستعرض تجربة أخرى في قارة مختلفة عن قارة أفريقيا التي أعيش فيها، وأشعر أنني جزءًا لا يتجزأ منها، ونواجه في مجتمعاتنا ظروفًا اقتصادية وسياسية متشابهة نوعًا ما، لعلنا نخرج ببعض الدروس المستفادة تختلف عن تجربة أمول، أو علني أجد بعض الإجابات عن تساؤلاتي.

اتحاد تعاونيات مزارعي القهوة في أوروميا

تأسس اتحاد تعاونيات مزارعي القهوة في أوروميا Oromia Coffee Farmers' Cooperative Union OCFCU بأثيوبيا عام ١٩٩٩، كاستجابة ضرورية لدعم صغار مزارعي القهوة في المنطقة. كان المزارعون في هذا الوقت يعيشون ظروفًا قاسية؛ فهم يزرعون في مساحاتٍ صغيرة من الأراضي دون أن يمتلكوا المعدات الزراعية اللازمة أو حتى وسائل النقل لنقل محاصيلهم إلى الأسواق. وذلك أدى إلى صعوبة الحصول على أسعار عادلة مقابل منتجاتهم بسبب تحكم الوسطاء والتجار في أسعار القهوة، مما أدى إلى تقليل حصة المزارعين من الأرباح وزاد من معاناتهم.

في البداية كان الهدف من تأسيس الاتحاد هو حماية المزارعين وتقديم المساعدات التقنية والمادية (مثل القروض الصغيرة). وبفضل الاتحاد، صار بإمكان المزارعين أن يبيعوا قهوتهم مباشرةً في الأسواق العالمية دون الحاجة إلى وسطاء، وبقوة تفاوضية للوصول إلى أسعارٍ عادلة. ومع مرور الوقت، ساهم الاتحاد في نشر مفاهيم التجارة العادلة والزراعة العضوية والمستدامة لدى هؤلاء المزارعين. كما استثمر في تنمية المجتمع المحلي، مثل بناء المدارس والعيادات الصحية وتوفير مياه شرب نظيفة.

عندما تأسس الاتحاد كان يضم ٣٤ تعاونية مزارعين. ومع الجهود المتواصلة، ارتفع هذا العدد ليتجاوز ١٩٧ تعاونية زراعية، وأصبح للاتحاد هيكل تنظيمي واضح مُكوَّن من جميع الأعضاء وعضو مجلس إدارة ولجنة مراقبة والعديد من الموظفين، ويضمن تلبية احتياجات المزارعين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ساعد على تأسيس الاتحاد أن الحكومة الإثيوبية أصدرت عام ١٩٩٨ قرارًا تسمح فيه بتشكيل تعاونيات كبري (اتحادات وتجمع تعاوني)، مما مهد الطريق أمام التعاونيات للتكاتف وتوحيد الجهود للوصول إلى حلول لتحسين أوضاعهم. من الجدير بالذكر أن التعاونيات في أثيوبيا نتواجد منذ خمسينيات القرن الماضي، إلا أنها لم تساهم بشكل فعال في التنمية، خاصةً تلك التعاونيات التي أُنشئت خلال النظام الاشتراكي وتُدار وفقًا لهذا النظام مما جعلها تعاونيات غير مربحة ويعتمد وجودها على الدعم. كما أنه فرض شكلاً غير ديمقراطي لإدارة هذه التعاونيات، مما أدى إلى إعاقتها عن تحقيق التنمية والاستقلالية.

في محاولة للوصول إلى إجابات على تساؤلاتي المُلحة والتي تدفعني وبقوة إلى التأمل في التجربتين، أجد أن كلا التعاونتين انطلقتا كرد فعل على الظروف القاسية التي يعاني منها الأفراد في تلك المجتمعات. فقد كان تأسيس التعاونيات وسيلة لتخطي سيطرة الوسطاء وتعزيز الاستقلال الاقتصادي وتمكين الأفراد من تحسين ظروفهم الاقتصادية. ساعدتهم التعاونيات في الوصول إلى الأسواق المحلية والعالمية، مما منحهم قدرة تفاوضية لتحقيق أسعار أفضل، ودفع إلى تعزيز السيادة الغذائية والاقتصادية وتقليل الاعتماد على الاقتصاديات الكبرى والوسطاء. كما لم يقتصر جهود التعاونيتين على الجانب الاقتصادي فقط، وامتدت إلى تنمية مجتمعاتهم المحلية، مما يعكس أهمية دور التعاونيات في المجتمعات.

ولكن التحدي الذي يواجه التجربتين هو الاستمرار في تحقيق النجاح المُستدام دون أن تتأثر هوية التعاونية. على سبيل المثال، نجد أن تجربة أمول بدأت في الأصل كحركة تحرر من الهيمنة الوسطاء، لتتوسع لتصبح كيانًا اقتصاديًا ضخمًا مما يعيدها إلى النظام الذي حاولت التحرر منه. فإن توسع التعاونية قد يؤدي إلى الانحراف عن الهدف، وقد يجعلها تفقد الهوية الأصلية المبنية على التعاون

والمشاركة والديمقراطية، لتصبح كيانًا اقتصاديًا يحاكي النظام الرأسمالي. أما تجربة اتحاد مزارعي القهوة رغم نجاحها والنتائج الملموسة في المجتمع، إلا أن الدولة مازالت هي المسيطرة على مسارات التنمية. وهذا يوضح أن السياسات والأنظمة هي من تتحكم في النمو، مما يجعل رغبة الأفراد في الاستقلال المادي وتحقيق الوفرة الجذرية أمر معقد للغاية.

فبالرغم من الشغف الذي يملأ الأفراد وإرادتهم القوية لإحداث تغييرات إيجابية في حياتهم اليومية والمستقبلية أو حتى تحديد مسارها، إلا أن للنظام السياسي والاقتصادي اليد العليا والقوى العظمى القادرة على التحكم في مسارات التنمية والنمو، وتحديد مسار تجربة التعاونيات سواء بتعزيز نجاحها أو إعاقته. ليضعوا أمل الأفراد وطموحاتهم لبناء مستقبل أفضل في اختبار قاس.

على ما يبدو أن رغبة الأفراد وحدها، سواءً في النمو أو اللانمو، لا تكفي!

المصادر:

١- الأمم المتحدة، تعريف بالتعاونيات. https://tinyurl.com/bddhmzse

2- Policy Circle Bureau. “Lessons from Amul’s Success for India’s Cooperative Sector.” Policy Circle, 26 February 2024. https://www.policycircle.org/society/amuls-lessons-for-cooperatives/

3- Get-In Startup. “Amul Success Story: A Case Study on Amul History and Journey.” Get-In Startup, https://getinstartup.com/amul-success-story-a-case-study-on-amul-history-and-journey/.

4- Amul. «Amul Organisation.» Amul Website, https://amul.com/m/organisation.

5- “Status of the Oromia Coffee Farmers’ Cooperative Union (OCFCU)”, April 2011. https://www.un.org/esa/socdev/social/meetings/egm11/documents/Meskela-Status%20of%20OCFCU%202010.pdf

Hickel, Jason. “The Economics of Degrowth.” *Real-World Economics Review,* no. 87, 2019, https://www.paecon.net/PAEReview/issue87/Hickel87.pdf.

انا شخص لا يمكن رؤيتي
اعجز اني اكون مع الراسماليه
قررت العوده إلى غرفتي
الصغيره في سلام نفس
هل الخلاص الفردي هو
خلاص للمجتمع
وهل ان نعيش في التغير كجزئي
المياه الراكده
الراسمالية
حلوه
وحشة
ماذا افعل!!!!

٢٠٧٠ حيث تم القضاء على وحش الرأسمالية الشرس بسيف "تفكيك النمو"

محمد زايد

٢٠٧٠ حيث تم القضاء على وحش الرأسمالية الشرس بسيف "تفكيك النمو"

"إذا أردت تغيير الأنظمة، قم ببناء نموذج جديد يجعل من النموذج الحالي عديم الفائدة"

باكمنستر فولر

انطلاقًا من عرض مفهوم «تفكيك النمو» لرؤية جديدة لشكل النظام العالمي الحالي وطبيعة النمو المختلفة التي تستبدل الشكل الحالي للنمو الاقتصادي البحت المتسبب في تفاقم المشكلات العالمية، وقع اختياري على مصطلح «تفكيك النمو» كترجمة شارحة ومناسبة بعد البحث والتدقيق في المصطلحات الداعية إلى تفكيك جوانب النمو المختلفة وعدم اقتصاره على النمو الاقتصادي فقط. يرسم مبدأ تفكيك النمو صورة مستقبلية لشكل النمو الأفضل من وجهة نظر الكاتب؛ ولكنه يفتقر إلى مراعاة عدة محاور مرتبطة بالشعوب وتأثير النمو عليها، ومنها ما يلي:

١- إدراك الشعوب لتراثها الثقافي

لتحقيق ترشيد الاستهلاك وتقنين الإنتاج الرأسمالي الحالي، يتحتم على الشعوب التأكيد على إدراكها لهويتها الثقافية والتأكد من عدم تواجد أي معطيات دخيلة على ثقافتها تهدف إلى زرع احتياج غير حقيقي بمعايير الشركات الرأسمالية الكبرى (مثل الهوس بالموضة والجمال).

٢- تعريف الرفاهية بما يتناسب مع احتياجات الشعوب

يفتقر طرح مفهوم تفكك النمو إلى توضيح تعريف الرفاهية أو وضع إطار عام لها، وهو ما يجعل من الضروري على كل دولة تصنيف السلع والخدمات إلى أساسية ورفاهية بناءً على تراثها واحتياجها الأصلي دون التأثر بالثقافة الاستهلاكية العالمية.

٣- تفاعل الدول مع بعضها البعض في تطبيق مفهوم تفكيك النمو

لم يُقدِّم مفهوم تفكيك النمو آلية واضحة لتفاعل الدول فيما بينها في حالة عدم الاتفاق العالمي على تطبيقه، وهو الشيء الذي سيصعب من تطبيق المفهوم في ظل تغلغل الأفكار الرأسمالية في سياسات الدول وثقافة الشعوب وزيادة شراهتها في الاستهلاك والتي تراكمت على فترة طويلة من الزمن، مما يحول دون توفير حل قاطع وسريع لمواجهة هذا التأثير.

٤- التحول التدريجي لتطبيق المفهوم

إن الانتقال إلى نمط حياة مستدام يتطلب تحولاً تدريجياً قابلاً للتطبيق في الدول باختلاف ظروفها الداخلية.

ولمعرفة كيف ستؤثر هذه التغيرات الجذرية على حياتنا المستقبلية، علينا إجراء تحليل متعمق لآثار تفكيك النمو على مختلف جوانب الحياة.

التغيرات في نمط الحياة اليومي

الاستهلاك المسؤول: من أهم جوانب تفكيك النمو التحول نحو استهلاك أكثر وعياً ومسؤوليةً بدلاً عن شراء المنتجات بكميات كبيرة، كما سيشجع على إصلاح المنتجات المُعطلة وإعادة تدويرها، واختيار المنتجات المصنوعة بناءً على احتياج الشعوب من مواد طبيعية ومتينة. هذا يعني تغيراً في عادات التسوق والبحث عن بدائل مستدامة وتقدير قيمة الأشياء التي نمتلكها.

التنقل المستدام: ستشهد وسائل النقل تغييراتٍ جوهرية، حيث سيتم تشجيع استخدام وسائل النقل العام والدراجات والمشي على الأقدام. قد نشهد تراجعًا في استخدام السيارات الخاصة، وظهور مدن أكثر ملاءمة للمشاة وراكبي الدراجات. هذا سيؤدي إلى تحسين جودة الهواء، وتقليل الازدحام المروري، وتعزيز الصحة العامة.

التغذية المحلية والموسمية: ستتغير عاداتنا الغذائية بشكل كبير، حيث سيتم التركيز على المنتجات المحلية والموسمية. هذا يعني تقليل الاعتماد على الأغذية المصنعة والمستوردة، ودعم المزارعين المحليين. ستكون موائدنا أكثر تنوعًا وصحة، وسنكون على اتصال أقوى بالأرض.

السكن المستدام: ستشهد مساكننا تغييراتٍ كبيرة، حيث يتحول التركيز إلى توفير الطاقة، واستخدام مواد بناء صديقة للبيئة، وتصميم المساكن بشكل يضمن التهوية والإضاءة الطبيعية. قد نشهد عودة إلى المنازل الصغيرة والكفاءة في استخدام المساحات.

التغيرات في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية

تعزيز العلاقات المجتمعية: سيؤدي النمو السلبي إلى تعزيز العلاقات الاجتماعية والترابط المجتمعي. ستصبح المجتمعات المحلية أهم، حيث سيتم تشجيع التعاون والتبادل بين الجيران. قد نشهد عودة إلى الأسواق المحلية، وتنظيم فعاليات مجتمعية مشتركة.

توزيع عادل للثروة: يهدف النمو السلبي إلى تقليص الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وتحقيق توزيع أكثر عدالة للثروة. هذا يعني زيادة الدخل للطبقات الفقيرة، وتقليل ساعات العمل، وتوفير خدمات عامة أفضل للجميع.

اقتصاد محلي قوي: سيشهد الاقتصاد تحولًا نحو الاقتصاد المحلي، حيث سيتم تشجيع الإنتاج والاستهلاك المحليين. هذا سيؤدي إلى خلق فرص عمل جديدة، وتعزيز الاقتصاديات المحلية، وتقليل الاعتماد على التجارة العالمية.

التحديات والفرص

ولإضفاء بعض الوضوح بين الطرح الجديد للنمو، نجري مقارنة بين النمو الاقتصادي التقليدي ومفهوم تفكيك النمو، وهي ضرورية لفهم الفروق الجوهرية بين هذين المفهومين وأبعادهما المختلفة.

وجه المقارنة	النمو الاقتصادي التقليدي	تفكيك النمو
الهدف الرئيسي	زيادة الناتج المحلي الإجمالي، وزيادة الاستهلاك، والتوسع المستمر للاقتصاد.	تحسين نوعية الحياة، وتقليل التفاوتات، وحماية البيئة، والانتقال إلى مجتمع أكثر استدامة.

التركيز	زيادة الإنتاج، والتوسع في الاستهلاك.	الكفاءة، وإعادة التدوير، والإصلاح، والاستهلاك المسؤول، وتقليل النفايات.
النمو الاقتصادي المطرد	يعد هدفًا أساسيًا.	يعد غير مستدام وغير مرغوب فيه.
العدالة الاجتماعية	قد يتجاهلها أو يقلل من أهميتها.	يركز على تقليل التفاوتات في الدخل والثروة، وتوفير فرص متساوية للجميع.
حماية البيئة	قد يهملها أو يقلل من أهميتها.	يضعها في صميم اهتماماته، ويسعى إلى تقليل التأثير السلبي عليها.
الاستهلاك	يشجع على الاستهلاك المستمر والمتزايد.	يشجع على الاستهلاك المسؤول والواعي، والتركيز على جودة المنتجات بدلاً عن الكم.
الوظائف	يركز على خلق وظائف في القطاعات الصناعية والتجارية التقليدية.	يركز على خلق وظائف في القطاعات المستدامة مثل الطاقة المتجددة، والزراعة العضوية، وإدارة النفايات.
السعادة	يربطها بالنمو الاقتصادي وزيادة الدخل.	يربطها بالرفاهية الاجتماعية والبيئية، وليس فقط النمو الاقتصادي.

لماذا المقارنة مهمة؟

- **تقييم الخيارات:** تساعد المقارنة على تقييم الخيارات المتاحة أمام المجتمعات لتحديد المسار الأمثل للتطور.

- **فهم التحديات:** تساعد على فهم التحديات التي تواجه كلا من المفهومين، وكيف يمكن التغلب عليها.
- **صياغة السياسات:** تساعد على صياغة سياسات اقتصادية واجتماعية أكثر استدامة وملاءمة لوضع الشعوب.

ما هي الأدوار التي يمكن أن تلعبها الحكومات والشركات والأفراد في تحقيق هذا التحول؟

دور الحكومات

- **صياغة السياسات:** يجب على الحكومات وضع سياسات تشجع على الاستدامة، مثل فرض ضرائب على الكربون، ودعم الطاقة المتجددة، وتشجيع الزراعة العضوية.

- **الاستثمار في البنية التحتية:** الاستثمار في وسائل النقل العام، والبنية التحتية الخضراء، وتحديث المباني الحكومية لتصبح أكثر كفاءة في استخدام الطاقة.

- **التعليم والتوعية:** توفير برامج تعليمية توعي المواطنين بأهمية الاستدامة وتشجعهم على اتخاذ خيارات مستدامة.

- **التعاون الدولي:** العمل مع الدول الأخرى لتطوير اتفاقيات دولية لمكافحة تغير المناخ وحماية البيئة.

دور الشركات

- **الابتكار:** الاستثمار في البحث والتطوير لتطوير منتجات وخدمات مستدامة.

- **الشفافية:** تقديم معلومات واضحة ومفصلة للمستهلكين حول تأثير منتجاتها على البيئة.

- **المسؤولية الاجتماعية:** تبني ممارسات عمل مسؤولة اجتماعيًا، مثل تقليل النفايات، وتحسين ظروف العمل، ودعم المجتمعات المحلية.

- **التعاون مع الحكومة:** العمل مع الحكومات لوضع معايير بيئية صارمة وتنفيذها.
دور الأفراد

- **تغيير نمط الحياة:** تبني عادات استهلاك مستدامة، مثل تقليل النفايات، وإعادة التدوير، واختيار المنتجات المحلية والعضوية.

- **المشاركة المجتمعية:** المشاركة في المبادرات المجتمعية التي تهدف إلى حماية البيئة، مثل تنظيف الشواطئ وزراعة الأشجار.

- **التوعية:** نشر الوعي بأهمية الاستدامة بين الأصدقاء والعائلة.

- **الضغط على صناع القرار:** الاتصال بالمسؤولين الحكوميين والشركات للتعبير عن دعمهم للسياسات المستدامة.

انعكاسات شخصية:

تقع مسؤولية تطبيق مفهوم تفكيك النمو على الحكومات والشركات والأفراد على حدٍ سواء. ولن يكون من العادل تجاهل المفهوم أو افتراض عدم كفاءته دون تجاوز التحديات المذكورة أعلاه أو توفير خطط بديلة للتعامل معها، بالإضافة إلى أنه لن يكون من المنطقي مطالبة مفهوم تفكيك النمو بمعالجة مشكلات النمو الحالي المتراكمة عبر السنوات؛ فهو أحد الحلول طويلة المدى التي يجب دعمها بحلول إضافية لتحقيق أفضل نتيجة لرفاهية الفرد والمجتمع.

٢٠٧٠
تم القضاء على الرأسمالية
بتفكيك النفو
بعد فهم الذات والمكان والإرث الثقافي
اد/كنا كيفية التعامل مع النظام
الجديد

نظرية الأقدام السوداء

هبة مؤنس

نظرية الأقدام السوداء

يعيش العالم في سباق محموم نحو الترقي لعالم أفضل، يبحث أفراده عن السعادة دون الوقوف لحظة لإعادة تعريفها بشكل خاص بهم. يجري الجميع في كل مكان وأي اتجاه للحصول على أشياء، وإعطاء أشياء، ومقايضة أشياء، وينسون أن تلك الأشياء هي ذواتهم التي تحترق لتشغيل عجلة إنتاج ما في مكان ما غير مرئي.

تأتي بعض الأصوات للاحتجاج على هذا الإطار المفرغ من المعنى، أحد تلك الأصوات هو صوت «تقنين النمو» والتي تُعد حركة مجتمعية أكاديمية تناهض الرأسمالية بمفهومها المرتبط بالنمو الاقتصادي وربطه بعملية الإنتاج. تنادي الحركة بإعادة تعريف مفهوم التنمية الاقتصادية وربطها بسعادة الإنسان وخصوصية اقتصاديات المجتمعات، أي جعل الاقتصاد وثيق الصلة برفاه الإنسان وليس النمو كرقم، وإعطاء المجتمعات الحرية لرسم خارطة طريقهم الاقتصادي. باختصار، الوقوف لحظة وحسر الإنتاج لتلبية الاحتياجات وليس تغذية الرغبات، لأن الأولى محدودة أما الثانية متناهية.

أثر الأقدام السوداء

قليلاً منا من لا يعرف هرم ماسلو للاحتياجات والتي تُدرج الحاجات البشرية بصورة متتابعة، بحيث تنتقل للمستوى الأعلى عند استيفاء الحد الأدنى أولاً. يأتي في قاعدة الهرم الحاجات الفسيولوجية الأولية كالتنفس، والغذاء والماء، والنوم والجماع، وينتهي الهرم في قمته على الاحتياجات الأسمى في تحقيق الذات من إنجازات وأنشطة إبداعية. وهو تفكير منطقي، فكيف للجائع أن يفكر في رسم لوحة أو يؤلف شحاذ قطعة موسيقية بديعة.

ولكن على الناحية الأخرى فقليلاً منا يعرف ملاحظات العالم أبراهام ماسلو في أربعينيات القرن العشرين لمعايشة قبائل السكان الأصليين لكندا، وخاصةً قبيلة الأقدام السوداء أو السكسكية

Blackfoot/ Siksika tribe، والتي من نتائجها أفكارًا تبدو عكس ما يطرحه هرم الاحتياجات. يقوم هيكل القبيلة على الاهتمام بالمجتمع ككل، وتحديدًا التركيز على الكرم والاهتمام بالآخر وليس التراكم المادي والامتلاك. حيث يعد الأغنى في القبيلة هو الأفقر مالاً وذلك لأنه أعطي كل ما لديه. ورأي ماسلو كيفية بناء مجتمع متماسك يُشجّع الأفراد على السعي نحو الرفاهية المجتمعية أولاً قبل التركيز على حاجتهم الفردية، وأنه يمكن أن يكون هناك تسلسلاً مختلفًا للحاجات. فبدلاً من البدء بالاحتياجات الفردية الأساسية والسعي رأسًا لتحقيق الذات، يعتقد بعض الباحثون أن هيكل مجتمع الأقدام السوداء ركّز على تطور المجتمعات للوصول إلى التماسك، ومن ثَمَّ يُمكِن للفرد أن يسعى نحو تطوره الشخصي، وذلك دون أن ينقص من شعوره بالسعادة شيئًا. ويأتي السؤال: هل كانت الأقدام السوداء أدرى وتُقدِّم نموذجًا مجتمعيًا متطورًا عما نعاصره اليوم؟

انحسار مياه النهر بعد الفيضان

كطوفان نوح الذي أغرق العالم أجمع ولم ينج سوى صانع سفينة في الصحراء الذي دخل في سباق مع الزمن لإنهائها، يأتي النظام الرأسمالي بصورته الوحشية ليُغرق البشر في طوفان من احتياجات مصطنعة وسط أكوام من المخلفات كعالم شيطاني يُنذر بقرب النهاية. ليأتي سؤال آخر: كيف سيكون شكل الطوفان؟ هل نستطيع تفاديه؟ أم نحن فعليًا قتلى الطوفان دون أن نشعر؟

يأتي مصطلح «تقنين النمو» من المصطلح الفرنسي la décroissance الذي أطلقه الفيلسوف الفرنسي أنديه غورز، وذلك بمعنى انحسار الفيضان ورجوع النهر لحالته الطبيعية، محاولاً الإشارة إلى أن الاستهلاك الكثيف غير المسؤول كنمط بشري هو وضع غير طبيعي يُلزمه بالضرورة تصحيح مسار، وإلا فالطوفان رد فعل طبيعي، ولكنه عنيف. وكما أعطي طوفان نوح الحياة لراكبي السفينة ومنحهم فرصة جديدة بلا قواعد مسبقة، ففيضان غورز يمنح النهر فرصة جديدة للرجوع لسياقه السليم، حتى لو خسر ساكني الضفاف. تلك الفكرة بالنسبة لي تبدو- رغم قتامتها- حلمًا بعيد المنال؛ إذ أن حياتنا تتقاطع وتتشابك مع العديد من القيود. ولأن الحركة لا تنادي بمفهوم مختلف كليًا للاقتصاد، ولكنه يبدو لي تصحيحًا للمسار من داخل المنظمة الرأسمالية ذاتها، حتى وإن اشتبكت معها ورفضتها بشكل معلن.

ماذا لو توقف السباق؟

يمتاز كل مجتمع، بل كل فرد، بخصوصيته الشديدة: آماله وإحباطاته، رغباته ومخاوفه، سعادته وتعاسته. هذا التباين المدهش والرائع هو ما يميزنا. لذا، لا توجد وصفة قابلة للتطبيق تصلح للجميع. ما يفعله النظام الرأسمالي هو توحيد هذا التباين بتسليع كل شيء، حتى الإنسان ذاته والعمل على إعادة بيعه مرات ومرات. نبقى مستهلكين ومنتجين، بائعين ومشترين في ذات الوقت طوال الوقت لتبقى تروس المصانع تعمل طوال الوقت، ونبقى في هذا السباق نستلم الراية ممن قبلنا لنسلمها لمن بعدنا وننضم للجالسين على قارعة الطريق في انتظار الموت، شاعرين بالخجل من عبئنا على حياة صُنعت على أجسادنا.

دعنا نفترض سويًا ماذا لو توقف هذا السباق؟ أمم... سيكون عالم أجمل بالطبع، البشر أخف ووقع أقدامهم ألطف على البيئة، سعادة أكثر، ضغوط أقل، تكامل مع الطبيعة، وتواصل مع النفس. تنمية المجتمعات ستكون مرتبطة باحتياجاتها أكثر. يبدو عالم أكثر عدالة اجتماعية واقتصادية وحضرية. يحدد كل مجتمع احتياجاته ويعمل على خريطته وإيقاعه الخاص. عالم يتسم بالتباين الجميل وليس التشابه المُوحَد القاتل للاختلاف- حتى وإن ادعّى احترامه له. عالم بلا لهاث في سباقات أوليمبية، عالم يسير فيه الجميع لاكتشاف الحياة. وهنا يطل سؤال آخر من جديد: ألا يبدو هذا حلمًا يوتوبيًا بعض الشيء؟

ماذا لو بدأ سباق آخر؟

ككل حلم جميل، لابد له من آليات واضحة حتى يتحقق، وإلا سيقع في براثن الذئب. هذا هو التخوف الذي يواجه تقنين النمو: كيف يمكن ألا يقع هذا الطرح تحت طائلة الرأسمالية ذاتها؟ وألا يتم تسليع السعادة ومقاضاتها بالمال؟ واستبدال العدالة المجتمعية بطموحك الشخصي؟ ومساومة الإرث الثقافي بالتدهور الاقتصادي؟

المنظرون للحركة يدللون على أهمية استبدال أداة الناتج المحلي الإجمالي (GDP)[١١] كالأداة الوحيدة لقياس النمو إلى أدوات أكثر شمولية مثل مؤشر التقدم الحقيقي (GPI)[١٢] الذي يأخذ في الاعتبار رفاهية الأمم عن طريق دمج العوامل البيئية والاجتماعية، وأداة مؤشر الكوكب السعيد (HPI)[١٣] الذي يضم التأثير البيئي لنشاطات الإنسان على الكوكب على حساب رفاهية المجتمع. كل ذلك يرجعنا مرة أخرى إلى التأطير العام للمفهوم الذي يزعم أنه يريد كسر الإطار القديم.

الإنسان بطبعه عاشق للأرقام والمقارنات، والتي يحسن استغلالها المفهوم الرأسمالي ويحكم قبضته على الإنسان برغبته المشروعة في الشعور بالتفرد بتنمية الشعور بالتنافس بين بني البشر. من نفس المنطلق يأتي التخوف من أن الحرب ضد السباق الوهمي للرأسمالية قد يتم استبدالها بسباق من نوع جديد، لم يفرضه المفهوم ذاته، ولكنه يُساق إليه ونساق نحن معه. يصبح حلم جديد لا تطاله جميع الأيدي. وهنا أذكر مثالية طرح أهداف التنمية المستدامة (SDG)[١٤]، وبين ما يؤول إليه الوضع من تجزيء مخل للمفهوم وتفريغ من المضمون، ليصبح مجرد تستيف ورق لبعض الدول، وإنهاء مهمات محددة بلا أهداف فعالة.

هل لنا حرية رسم مسار لا نقف جميعًا على خط بدايته؟

عندما يدعو تقنين النمو المجتمعات إلى إعادة تعريف رفاهيتها ورسم مسار نموها للعمل عليه، يثير هذا تخوفًا وسؤالاً مشروعًا عمن سيرسم الخريطة ويحمل القلم؟ وماذا لو لم ير الجميع؟ هنا تأتي معضلة

١١- يُعرّف الناتج المحلي الإجمالي على أنه إجمالي قيمة السلع والخدمات المُنتَجة والمُسوّقة داخل حدود دولة ما خلال فترة زمنية معينة.

١٢- مؤشر التقدم الحقيقي Genuine Progress Indicator – GPI هو مقياس تم اقتراحه لاستبدال أو تكملة الناتج المحلي الإجمالي. يتم تصميمه ليأخذ في الاعتبار بشكل كامل رفاهية الأمة، والتي يتعلق جزء منها فقط بحجم اقتصاد الدولة، من خلال دمج العوامل البيئية والاجتماعية التي لا يتم قياسها بواسطة الناتج المحلي الإجمالي.

١٣- مؤشر الكوكب السعيد Happy Planet Index هو مؤشر الرفاهية البشرية والوقع البيئي والذي يتم قياسه من خلال متوسط رضا المجتمع النوعي عن الحياة، العمر المتوقع عند الميلاد، والأثر البيئي للفرد.

١٤- أهداف التنمية المستدامة هي دعوة عالمية للعمل على إنهاء الفقر وحماية الكوكب وضمان تمتع جميع الناس بالسلام والازدهار بحلول عام ٢٠٣٠.

المشاركة المجتمعية والسياسات التشاركية وعدالة التمثيل والمساواة بكافة أشكالها. وقبل أن نحاول الإجابة على آليه ضمانة التنفيذ، يجتاح السياق سؤالاً أشرس: ماذا لو رسم مجتمع آخر طريق رفاهيته على حساب رفاهية الآخرين؟ ماذا لو رأت أمريكا أن رفاهيتها في زيادة الاستهلاك؟ أو أوروبا في التصنيع؟ أو إسرائيل في النمو الاستيطاني؟ وماذا لو تحالف البعض على تقويض أو شراء رفاهية الآخرون الأضعف حالاً؟

ليس لجميع المجتمعات نفس القدرة على تحقيق هذا التحول الرشيد للنمو؟ لنكن صرحاء، هذا قد يثير الهلع أكثر من الخيال. فهل ستستطيع الدول الأقل حظًا في أي لحظة قريبة دفع فاتورة هذا التحول، الذي يبدو شرعيًا ومطلوبًا وعادلاً؟ ولنستفسر عمن هم ضحايا هذا التحول إن بدأ. فالعديد من التحديات ستواجه تلك المجتمعات، منها زيادة البطالة وارتفاع معدلات الفقر في حال تبطؤ النمو وتقليل الاستهلاك، وهل سيؤدي لركود غير محسوب لاقتصاديات نامية؟ وهل سيؤثر ذلك على الاستقرار المجتمعي والسياسي؟ كيف ستُدار عملية تحديد معايير الرفاهية ورسم خارطة الطريق؟ وكيف سيُقاس التطور في التطبيق، حيث سيتطلب التغيير إلى إعادة هيكلة معقدة للسياسات والأنظمة الاجتماعية وشبكات التجارة العالمية؟

فمن يقدر على دفع فاتورة تخفيف النمو وهو يعاني من الديون المتراكمة، أو يُخفف عدد ساعات العمل للموظفين ونسب البطالة المجتمعة عالية، أو يستثمر في التكنولوجيا كحلولٍ بديلة وهو يعاني انقطاع مستمر في الكهرباء؟ الأهم من يحكم هذا التحول ويوجهه لمصلحة المجتمع؟ وأي مجتمع نقصد بالضبط عند حديثنا عن الإرث الثقافي وعن العدالة والحقوق؟ وهل هناك ضمانة أكيدة لذلك؟

الحقيقة أننا لسنا جميعًا على نفس خط البداية، وإن نفى منظرو الحركة بحذف هذا الخط وأن لكل مجتمع الحق في تحديد تحركاته واتجاهاته بشكل شامل وحرية مطلقة، فحتى الحرية غير مطلقة، هي مُقيّدة. ولكن حتى لا نكون متشائمين أو نبدو كمتنصلين من مسؤوليتنا، لا أنفي أن التعثر ليس المصير الأوحد للدول النامية، وأن الخوف من الابتلاع مرة أخرى عند الحصول على فرصة جديدة للنجاة ليس قدرهم الوحيد، وأنه يجب عليهم مواجهة معاركهم الفكرية والالتحام لإيجاد الحلول

مهما بدا الطريق قاسيًا. فأن تأتي متأخرًا خير من ألا تأتي أبدًا. صحيح التحول إن لم يكن رشيدًا وحيويًا وقادرًا على مواجهة التحديات وتوقعها، فسيزيد عدد ضحاياه وفي الغالب سيكون الضحايا هم الفئات الأكثر هشاشة أصحاب الأقدام السوداء والتي من أجلهم ناضلت حركة تقنين النمو، حيث يبدو أن المسميات ليست هي المشكلة الأصيلة بقدر الرشادة والضمير المحرك لتلك الممارسات.

وفى النهاية، يبقى السؤال: هل نحن مستعدون لمواجهة مخاوفنا لإعادة تعريف مفاهيمنا عن النمو والرفاهية؟ هل يمكننا أن نتخلى عن سباق الرأسمالية المحموم ونبدأ في بناء مجتمعات أكثر عدالة واستدامة؟ الإجابة ليست سهلة، ولكنها تستحق المحاولة. فلنبدأ الآن، قبل أن يجرفنا الطوفان.

فهل ينجو أصحاب الأقدام السوداء هذه المرة ويملكون زمام الأمور؟

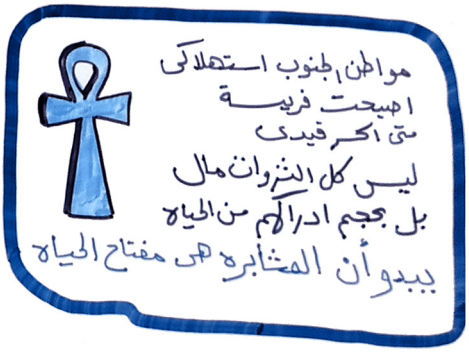
مواطن جنوب استهلاكى
اصبحت فريسة
متى اكسر قيدى
ليس كل الثروات مال
بل بعجم ادراكم من الحياة
يبدو أن المثابرة هى مفتاح الحياة

تأملات
الندرة
طبيعية
صناعية
مصنعة من قبل مستهلك؟
دور الاعلان وتأثيره
التنمية
الموارد
الوفرة الجذرية
وفرة احتياطية
الاحتياج
سلبي
من جريمة سوء الاستخدام
ايجابي
استخدام في الاستدامة
التوزيع العادل
مثل الموارد الطبيعية
النمو
أرقام
الاقتصادي
الفرد
هل هناك فرق بين النمو والتنمية
Degrowth
مقياس السعادة
حياة كريمة
استغلال الموارد البيئية
نمو بعيد عن الارقام
قياس عدم العدالة

٤

الباب الرابع:
العودة إلى الذات

"أنا مش أنا"

"أنا مش أنا"

ارتبكًا؟ نقطة ومن أول السطر.

من نحن؟ من هم؟ نحن الرأسمالية والرأسمالية نحن. لقد أنتجنا ما ينتجنا. كيف ننتج ما يفترسنا؟ أليس هؤلاء هم نحن؟ ونحن هم؟

ارتبكًا مرة أخرى؟ نقطة ومن أول السطر.

كيف نتموضع؟ ما هو مكاننا في هذا النظام؟ نستمتع بالامتيازات وندركها! نرفض تأثيرها وإنتاجها! نشرب القهوة المخفوقة ونلعن صانعيها! نستمتع بمكيفات الهواء ونبكي على انبعاثاتها!

ارتبكًا مرة أخرى؟ نقطة ومن أول السطر.

من نحن؟ من هم؟ نحن الرأسمالية والرأسمالية نحن. لقد أنتجنا ما ينتجنا. كيف ننتج ما يفترسنا؟ أليس هؤلاء هم نحن؟ ونحن هم؟

لحظة! وجدتها إذًا: نحن مجموعة تحاول!

ارتبكًا مرة أخرى؟ نقطة وبلاها السطر.

سنكتب الشعر والرسائل. سنلتقط الصور وندندن الأغاني.

سنصلي وراء موسى لعل البحر ينفلق. سنحفظ ألواح جلجامش عن ظهر قلب.

سنبني الفُلك لعلنا ننجو من الطوفان.

فقد نلقى حينها الصديق الزين، ونتسند على بعض بالكتفين.

«ونقول ده والله حرام

مانبتديش العلام غير بالطوفان يعني!

لازم طوفان! لازم طوفان؟»

انا بنت المواطن
المستقر والبادئ عنه الحياه
المستقر وصاحب الانكار والاراء
المستقلة والحياديه التي ارفضها
بابا
صاحب القوه
والراى.
السيوف شفاعة الاسكندرية

التوقف عن التصاعد

إسراء أمان

التوقف عن التصاعد

هل هناك متسع للموظفين في عالم تفكيك النمو؟

ما هو مفهوم العام والخاص؟

ما الإرث وكيف نتوارثه وكيف نكسره؟

في عالم من العزلة داخل منطقة السيوف شماعة شرق الإسكندرية، تتركز مبانٍ لشركات العاملين في الملاحة والتجارة وغيرها، لا أتذكر أن لها سوق بل محل خضار وفرن ومحل فول وفلافل و٤ مدارس: الأولى أزهرية، الثانية إخوانية، الثالثة خاصة، والرابعة لغات. واتفق السواد الأعظم من موظفي شركة ممفيس أن أولادهم سيتعلمون في المدرسة الخاصة، ليحافظوا على دينهم ولسانهم العربي ولا يتلاعب أحد ما بأذهانهم، فتبقى الأمور تحت السيطرة قدر المستطاع.

اتفقوا بالضرورة على شكل الفسح، حيث الغدوة الشهرية في قرية عبد الوهاب، وزيارة الأهل أسبوعيًا، وشراء مصيف في ٦ أكتوبر بمنطقة العجمي (شاطئ النخيل) ووضع أسس واضحة: لا تتباهي، لا تفعلي شيء إلا بعد تفكير، العبي مع أبناء من نعرفهم فقط، صوني العيش والملح، ابقي دائمًا ضيفة خفيفة، الأكل الكثير يجيب تخمة... هكذا تعاد التعليمات حسب المواقف والأسئلة. ووصلت ذروتها وقتما تمرد أبي على إرث عمارة ممفيس، فلم يعد يحتمل توجهات رجال العمارة على أسرته شخصيًا، لا لليونة أسواره، ولكن لمرارة اتفاقهم الضمني أن علينا تأطير حياة أطفالنا، ليسيروا شبابًا واعدًا.

وخزته الاتفاقات الضمنية والسياقات والمسارات، وخزته اللمة المسائية أمام البقّال وهم يتحدثونعن صرامتهم مع أهل بيتهم، وخزته السيوف شماعة، فتخيل نفسه في سيدي جابر- منطقته المفضلة على

الإطلاق والمجاورة لبيتهم الصيفي في الستينيات بكليوباترا. احتفظ بهذا الحلم. دوريًا يقف أمام أرض فضاء أمام سنترال سيدي جابر، يتمنى لو يرزقه الله بسكنة في هذا المكان؛ حيث المواصلات لكل مكان والسوق والألفة والسكينة. وضع القرش على القرش حتى تحقق حلمه، وانكسرت الحدود، واختفى الكثير من الاتفاقات الضمنية.

اذهب الآن إلى مدرسة لن يجبرني فيها المشرف على ارتداء رابطة العنق، واستطعت التسنكح خارج المنزل حتى العاشرة مساءً. لم تعد هناك عيون توخز أفعالنا، من دخولنا لباب العمارة حتى باب البيت، ولا تجبر أمي على التنظيف ليل نهار لعل زوجة أحد موظفي ممفيس تطب. فأبي حقق الحلم الأمريكي في ثوبه المصري. ولكن ماذا بعد؟

لم نتخلى تمامًا عن الاتفاقات الضمنية، ولم ننسلخ من إرث موظفي ممفيس، فهم المجموعة الأولى التي سحبت كل المجموعات في جعبتها. كتابة أي سرديات أخرى عن هويتنا دونًا عنها بدعة.

اللانمو في مواجهة موظفي ممفيس

تحترم تلك المجموعة أي مجموعة مادامت تحوي ولو فكرة من أفكارهم، لا يعلمون أنهم خلقوا مجموعة خاصة، ذات لغة مختلفة، في منطقة منعزلة عن المجتمع السكندري بشكل عام، الذي اسمع عنه من الكتب وذكريات أصحابي الآن! هؤلاء تعاملوا مع البحر والشواطئ شبه يوميًا، أما أنا فكان البحر مجرد طريق ونقطة وصول من فيكتوريا إلى المنشية، والقليل جدًا من الذكريات التي اختلستها مع بنات خالتي لتلمس أطرافنا المياه.

هذا النوع من العزلة، لم أر فيه الحاجة أبدًا للذهاب إلى هايبر كبير لشراء احتياجات المنزل، أو أننا في حاجة أساسية إلى سوق خضار وسمك، واكتفينا بالاختيارات المتاحة كما هي، أيًا كانت الجودة. فما دام الطعام سليم، فلا أزمة، ومادام البيت لا ينقصه البروتين والفاكهة والخضار، فما الأزمة؟

فلما هذا الوخز إذًا؟

في نقاش حول مبدأ اللانمو/ سامي/ degrowth والذي يُمثّل التباطؤ عن النمو والتعامل مع ما توصلنا إليه حتى الآن، نفكر كمجموعة- أيًا ما كانت- كيف نتعامل معه، ولو كنا في حاجة لشيء ما ولا بديل له، فدعونا نتمهل ونفكر من كل الزوايا حتى نصل إلى الصورة الأنسب للنمو، أو كما أحب رسمها: لنجلس جلسة صفا، نبعبع، لا نهدم ولا نبني، نهمد ونعيش، نشوف إيه احتياجاتنا، ومنها نختار شكل نمونا.

من منطلق ناعم، فهي فرضية جيدة، ولكنها منزوعة الصراع والوخز، تشبه تعاليم الأديان القديمة، مثالية، ولكنها «اتحدفت» لتُختبر، لا العكس، ولا عيب في ذلك، فخارج تلك القاعة يحاول حبة من البشر بناء مجموعة والانعزال الآن، وسنرى ماذا سيحدث لهم.

أسفل كوبري ثروت

رقية ممدوح الجعفري

أسفل كوبري ثروت[١٥]

١. الرغبة/ الحلم

لا أمتلك ذكرى عن كيف بدأ الأمر. لا أعرف من أثّر في. استيقظت في يوم من الأيام وأنا لا أريد أن أكبر كأمي في المدينة الصغيرة. ولأنها من العاصمة، تولّد داخلي حق وإرث مكتسب أني جزء من هذه المدينة البعيدة. حين كنا نسافر، بشكل متقطع وقصير، كنت أحزم الاحلام قبل الأمتعة... فنحن في المدينة التي لا تريد منا أن ننام. تقبل الجميع. تمنح الجميع. ولكن تذكرك باستمرار «أنت وشطارتك».

٢. الطريق/ الطريقة

أعود وأسأل، طيب إزاي أبقى شاطرة؟» بيتي هنا، أهلي هنا، أحلامي هنا، وأنا من هذه الغردقة على قمة الهرم الغذائي. مستفيدة من النظام. أريد المعاملة الحصرية. والبحر عالمي. وكما البحر أمامي، أرى اللانهاية. وكما البحر، أبدأ من شطٍ ما. وكما البحر، انتهى إلى شطٍ آخر. حرص أهلي على أفضل تعليم، وأفضل مدارس، وأكثر وأوسع اللغات انتشارًا. حرصت، بحكم العادة، أن أظل دائمًا جزءًا من الصورة أيًا كان من يلتقطها. والآن، يسمح لك النظام أن تتحرك، ماديًا ومعنويًا.

تنسيق الجامعة يراك على أنك مجموع، رقم. تنتمي لهذه الكلية، وهذا العلم، لأنك ذلك المجموع، الرقم. الآن امتلك فرصة حقيقية في القاهرة، في العاصمة، في المركز. أُطوِّع ذاتي لتنتصر في هذه المعركة. أغير التخصص أكثر من مرة لأني لا أعلم أي الأسلحة أقوى. انغمس في الرياضيات

١٥- أشكر العزيزة يوستينا عبيد عشان واحنا بنتكلم عن حاجات كتير أوي أوي، اتولد العنوان.

رغم أني من الشعبة الأدبية. ولسبب غير مفهوم، اشتبك مع الحتمية التقنية، وأتعلم البرمجة لشهر من الزمن.
ماذا أريد؟ لا أعلم. ولكني أريد المزيد.

٣. الصدمة

الآن أنا، المجموع، أبي، بل أنا، أنا في القاهرة. ما أمتلكه، ما أنا عليه، ما يتملكني لم يعد يكفي. والآن أقبع في البيت الصغير أسفل كوبري ثروت. أحمل السيف في مواجهة البندقية. تخبرني أستاذتي أن أشتري الذخيرة، وإن لم أقدر، لأكن أنا الذخيرة. أسأل ماركس ماذا أفعل؟ أين أنت؟ أُجيبني على استحياء: «إزاي أبقى شاطرة؟» لا.«إزاي أبقى أشطر؟» وما هو الرقم الجديد؟

٤. التأقلم/ المقاومة

نقاوم أم نتأقلم؟ عزيزي وعزيزتي، نحن نتأرجح بين الفاعل والمفعول به. إلى أي مدى يجب أن أتأقلم حتى أتمكن من المقاومة؟ متى وإلى مدى سيفسح لي النظام؟ وهل سيكفيني ما أُمنح من مساحة؟ ولا محتاجة أخس؟

هذه المقاومة المُقنعة تراوغ النظام لتترقى في الوظيفة التي كافأها بها النظام. تسخر حينًا لأنها قررت بإرادتها الحرة، وأحيانًا أكثر لأنها لا تملك أي إرادة حرة.

أهرب من الصورة التي لم أرد أن أصير عليها، أم أن الحياة رحلة، ونحن فيها باحثون. الآن، أنا عميلة مزدوجة للأنا والنحن. فكيف أعود؟ كيف أعيد ترتيب الأحلام والأمتعة؟ إلى من أعود؟ وأعود إلى أين؟

هوامش

كان ولا يظل العالم أمام مفارقة الاحتياج والرغبة. فمن جهة، تقوم الرأسمالية على تراكم الثروات بقصد التربح. وبناءً عليه، يتحتم على الاقتصاد أن ينمو، وعلى الأفراد (حقيقيين أو معنويين) أن

يتنافسوا، فيسود الإبداع والتقدم. ويستقر السوق بفعل هذه التفاعلات، عاكسًا الأسعار. بينما يحدث كل هذا بفعل إرادتنا الحرة وبمساعدة التكنولوجيا الحديثة. وككل النماذج والأفكار، حاول البشر تحدي مسلمات وفرضيات الرأسمالية على مر العصور. ونتحدث هنا عن الحركات الطلابية في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي الرافضة للاستهلاك الزائد عن الحد وقيود الرأسمالية على الفرد العاجز. تدعونا «الثقافة المضادة» أن نتحرر من قبضة كل محتل وأن نتجرأ على الرغبة فيما هو مختلف. فتنشأ حركة التباطؤ/ الارتداد/ التوازن الاقتصادي (تفكيك النمو) لتطعن في معايير قياس التقدم، على مستوى الفرد والمجموع. وتحلم بعلاقات اقتصادية أصيلة تعكس خصوصية كل نموذج اقتصادي بالتركيز على المجتمعات المحلية، وخلق شبكة اقتصادية تُقدِّر فواعلها وتخدم وتدعم. تحلم بتوزيع عاجل وإنتاج واستهلاك يتسم بالرشادة والتعقل. تقاوم سردية اختزال المجتمعات والأفراد في أرقام تُقصي من تُقصي وتضع الأولوية لمن تريد.

يرمي لك جيسون هيكل وسابقيه مفاتيح اللعبة،

ولكن «أنت وشطارتك!»

جد الطريقة على هذا الطريق،

اصطدم،

تحطم،

تأقلم،

ولكن لا تتوقف عن المقاومة.

نمو الإنسانية أولاً

سالي علي

نمو الإنسانية أولاً

يستمر الصراع بين الشمال العالمي والجنوب العالمي حول الموارد والأراضي والقوي. يتصارع القطبين بشكل غير متكافئ لإيجاد واقعًا يجمع بينهما. وكان العلاقة شرطية؛ لبقاء قطب يجب محو الآخر. تسيطر هذه الفكرة عليّ، تعشش في مخيلتي فتبني بيتًا يصعب عليّ هدمه فقد امتلكت كل ما ينبغي من إثباتات الملكية، والأوراق والمحاضر التي تجعل إزالته شبه مستحيلة. فأغوص في أفكاري. تستوقفني بعض النقاط التاريخية الفاصلة في إدراكي: أين أنا من الإنسانية؟ أين موقعي؟ ماذا تعني اهتماماتي؟ وما حدود قدراتي على تغيير هذا الموقع؟ أتساءل عن ماهية الأشياء: ماذا تعني الإنسانية، والرفاهية، والنمو، ووقف النمو، والنجاة الجماعية؟

اللحظة الأولى سبتمبر ٢٠٠١: معنى الإنسانية

كانت بداية معرفتي بمعنى الإنسانية حين أدركت كيف ينفجر صدر الإنسان لوجع إنسان آخر في مكان آخر لا يوجد بينهما أي رابط سوى الإنسانية، عندما استيقظنا على مشهد أدمى قلوبنا جميعًا وهو مقتل الطفل محمد الدرة في حضن أبيه، ومشهد أكثر وجعًا من موت الطفل وهو مشهد هذا الأب المكلوم الذي لا يملك من الضعف وقلة الحيلة غير الدموع. يومها خرجنا أنا وزميلاتي في مظاهرة للمرة الأولى دون أدنى وعي مني أو مننا جميعًا بماذا تعني مظاهرة أو ممارسات سياسية وما تأثير كل ذلك.

«**الإنسانية**؛ الرابط الأسمى بين بني البشر، هي حق الحياة الذي لا يجب أن ينتزعه أي إنسان من إنسان آخر تحت أي مسمي»

اللحظة الثانية يناير ٢٠١١: معنى الرفاهية

بداية أخرى تحمل معها كثير من الأمل والطموح في حياة أفضل، وانتزاع حق آخر من حقوق الحياة في تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة، الحق أن نرى وطن يحب أبناءه ولا يلفظهم أو يفقرهم أو يمرضهم. وللمرة الثانية في عمري بعد مرور عشر سنوات انضم إلى مظاهرة. ولكن هذه المرة كنت أعي تمامًا جميع حقوقنا السياسية والاجتماعية. أعي تمامًا أن لكل إنسان الحق في حياة كريمة تليق به. ولكن مع الوعي هذه المرة كان يملؤني الأمل في غد أفضل. ربما بعد ذلك اجتاحتنا نوبات كثيرة من خيبة الأمل، ولكن ظل دائمًا إحساس قوي مسيطر وهو الإحساس بمعاناة أي إنسان داخل الوطن أو خارجه. ربما أحيا دائمًا بصوت داخلي لمنير عندما قال «يهمني الإنسان ولو مالوش عنوان».

«**الرفاهية**؛ وعي وإدراك تام للجموع أن لكل إنسان الحق في حياة كريمة تليق به، والقدرة على ممارسة هذه الحياة»

اللحظة الثالثة مارس ٢٠٢٠: معنى وقف النمو

لحظة صمت إنساني عالمي لن تتكرر: أن يقف العالم أجمع تحت قبضة جائحة بشرية مثل كورونا صنعتها الرأسمالية العالمية، وأنا أؤمن بفكر المؤامرة في تلك الحالة. ولكن بالرغم من أنها من صناعة الوحش الرأسمالي، طالت الجميع. حتى تلك البلاد التي تغذي هذا الوحش وترعاه لم تسلم. أتذكر أني كنت أتساءل بتخوف وترقب ورهبة: أين العالم؟! لا يوجد عالم. ماذا بعد؟! هل سيفني العالم؟! سنموت جميعا؟! الكثير من التخوفات، لحظات الألم والبكاء والانهيار، مرضي بالملايين، وأموات أيضًا بالملايين. الموت فقط لا يُفرِّق بين سكان الشمال وسكان الجنوب. لم يفرق بين الرجل الأبيض والأسمر. وهنا كان التساؤل: ماذا قدمت النظريات والدراسات والاستراتيجيات وجميع الخطط الاقتصادية للنمو الحالي والمستقبلي؟ هل استطاعت وقف سير أقدام هذا الوحش الرأسمالي من فوق آلاف الجثث؟ هل استطاعت كبح جماحه وتباطؤ نموه لنلحق بالإنسانية ونوقف نزيف الموت الذي اجتاح العالم؟ آلاف الآهات بجميع اللغات. وجاءت جائحة كورونا لتهدم جميع ما

سبقها من دراسات وتحليلات ونظريات ومشروعات تخدم النمو الاقتصادي والبيئي والاجتماعي المُزيّف الذي ظل الشمال يطعمه لنا لسنوات عديدة. وكان السؤال الأهم: هل جائحة كورونا أعمق كارثة بشرية أم صفعة على وجه البشرية من الطبيعة؟ صرخة اعتراض على جميع ممارسات وجرائم البشر تحت مسمي النمو الاقتصادي تجاه الكوكب؟ رأينا الطبيعة تأخذ أنفاسها من جديد لتستعيد بعض من روحها التي دهسها وحش الرأسمالية. ومن هنا نعود لنفس التساؤل: هل علينا إبطاء ذلك النمو؟ هل علينا كبح جماح وحش الرأسمالية الذي يبتلع الطبيعة ومعظم البشر ليخدم قلة قليلة من البشر؟ ربما.

«**وقف النمو**؛ ألا يُفرِّق الموت أو الطبيعة أو الفقر بين سكان الشمال وسكان الجنوب»

اللحظة الرابعة أكتوبر ٢٠٢٣: معنى النمو

نهار العاشر من أكتوبر: استيقظ لليوم الثالث من القصف المستمر على قطاع غزة في الأراضي الفلسطينية المحتلة. أتحدث هنا عن فلسطين التي تعرضت لجميع الجرائم: الاحتلال والاستعمار الاستيطاني ونهب الموارد والعنف الممنهج والقتل الحصار ونزع السيادة الغذائية والمائية وكل الجرائم التي يُمكِن أن تُرتكب في حق الإنسانية. خلدت للنوم وداخلي يتأجج بمشاعر الغضب وظننت ليلتها بأني سأصحو على زلزال أثر حركة الجيوش العربية لنجدة فلسطين. ولكني استيقظت في اليوم التالي وكأن شيء لم يكن. ذهبت إلى عملي لأجد الجميع يباشرون أعمالهم بحزن، بفجعة أو هدوء وعدم اكتراث تام. جلست أراقب الناس من حولي وأتابع صفحات السوشيال ميديا والقنوات الإخبارية. لا دعوة للتوقف أو التمهل أو الغضب. ليس هناك سوى مانشيتات عريضة لا تثمن ولا تغني من جوع. أدركت أن تلك المجزرة لن تتوقف، وأن الموت وآثار القصف ليس كافيًا لإيقاف النمو ولو للحظة. الموت الذي اجتاح أرض غزة كان خنجرًا في قلب تعريفي للإنسانية. نظرت إلى يدي لأدرك أننا شاركنا مع دول الشمال العالمي في الإمساك بالخنجر. للأسف الرأسمالية نجحت في توحيد الشمال العالمي والجنوب العالمي مرة أخرى، على غرار جائحة كورونا حين تكاتف العالم كله ليستطيع تقليل الخسائر البشرية ومحاولات استعادة الحياة بعد الجائحة. ولكن الحديث عن هذه

الأرض المنهوبة وسط دول الجنوب لا يثير اهتمام العالم. أدركت أن وحش الرأسمالية هو العدو وأنه لن يتوقف. فمهما حاولنا من موقعنا، دول الجنوب، في وضع أبحاث ودراسات ونظريات أو حتى تنبي أطروحات مثل تفكيك النمو ستظل جميعها مُقيدة بقيود الاستعمار.

«**النمو**؛ أن يتشارك العالم أجمع في استمرار المجزرة، ما دامت تستمر في ضخ الأموال في عجلة الرأسمالية»

اللحظة الخامسة سبتمبر 2024: معنى النجاة الجماعية

استيقظ لأدرك أن كل هذا هو مجرد صفعات متكررة للإنسانية وأفكاري ومشاعري، لما اعتقدته وآمنت به تجاه عالمنا العربي. لحظة يقظة لأدرك موضعنا من الرأسمالية، وموضع الإنسانية من الرأسمالية، وموضعنا كناطقي العربية من الإنسانية، أو موضعنا كجنوب عالمي من الإنسانية. أتأرجح بين المواقع لعدة أشهر، فقد توقفت عن عد الأيام بعد يناير ٢٠٢٤. انظر إلى هاتفي المحمول لأجد أننا في سبتمبر ٢٠٢٤ وأنا أجلس في رقعة متناهية الصغر وسط مجموعة من البشر يجمعنا سؤال واحد: هل من حقنا أن نحلم بغدٍ أفضل للإنسانية عمومًا: جميع البشر الذين يضطهدهم وحش الرأسمالية، جميع الشعوب التي يطولها الأذى، في الكونغو وباكستان ومصر والهند وكوبا وكل مكان؟ هل نملك ما نحتاجه من رفاهية وثقافة وآليات وموروث شعبي أصيل لإبطاء عجلة النمو المصطنعة والتي يتمتع بها نسبة ضئيلة من البشر؟ هل سيسمح لنا الشمال العالمي الوقوف في وجه هذه العجلة وإبطائها سواء اقتصاديًا أو بيئيًا أو اجتماعيًا؟ هل من حقنا أن نحلم بعالم أفضل؟ هل من حقنا أن نصحو في يوم نسمع فيه أن العالم أجمع يغني مع منير «يهمني الإنسان ولو مالوش عنوان»؟

«**النجاة الجماعية**؛ القدرة علي أحلام اليقظة وتخيل عوالم بديلة ورسم أحلامنا بالألوان التي نحبها.. كمجموعة»

البيوت القديمه لها حياة
أشعر بالحنان حين أراها
حين يهدم البيت أشعر بهدم الحنان حين أرى أسوار البيت
الرجل
يحد بلدوزر التطوير
القاهرة المستشرون موجودون في كل مكان
هل يمكن استخدام الاستدانه حين
تبني وهل Degrowth هو الحل
أيها العالم الأخضر العتيد
خبأتك في قلبي من
البلدوزر والفوسفريح

"خبأتك بقلبي"

سالي جندي

"خبأتك بقلبي"

البلدوزر

أنت/تِ بصدد قراءة قصة شخصية... ما تعكسه قصتي حين أتحدث عن البيوت القديمة هو طرح بديل، تصور وقراءة لما يعنيه العمران القائم لنا وللمدينة وللاقتصاد. أعترض هنا على فكرة اعتبار المبان التراثية هيكل إنشائي مجرد؛ فهي احتواء للذاكرة والجذور الإنسانية، موارد طبيعية وبيئية واقتصادية مدفوعة مسبقًا؛ فقد أدت دورها في نمو اقتصادي ما بما دفعته ثمنًا لمواد البناء والعمالة وتكوين رأس مال فردي لعائلتي الصغيرة.

قصتي هي دعوة شخصية لإعادة التفكير في النمو الاقتصادي السريع. أحاول ربط ما تحمست له في طرح «تفكيك النمو- التباطؤ الاقتصادي» بما أعيشه في واقعي اليومي. أحاول تحدي النمو العمراني الشرس والبلدوزر بتفكير أكثر حساسية لما نحمله معنا من ذاكرة وعمران قائم، بدلاً عن الاستمرار في بناء مشروعات جديدة تستهلك الموارد وتدمر التراث. فهل يمكننا (كمجموعة) أن نتبنى نهجًا أكثر استدامة يُعيد استخدام ما هو قائم بالفعل، ويحترم البيئة والمجتمع؟

"تفكيك النمو- التباطؤ الاقتصادي" هو طرح وحركة اقتصادية واجتماعية يُشجِّع على التوقف عن ربط الرفاهية بالنمو الاقتصادي المادي والإنتاج الاقتصادي العنيف المبني على الندرة المصطنعة، والتركيز بدلاً عن ذلك على تحسين جودة الحياة من خلال حماية الهوية الاجتماعية والتراث الثقافي. كما يدعو إلى تقليل معدلات النمو الاقتصادي من أجل تحقيق التوازن البيئي والعدالة الاجتماعية، بدلاً عن التركيز على زيادة الإنتاج والاستهلاك.

أتأمل البيوت القديمة، تلك التي ما زالت صامدة وقابلة للاستخدام، أينما ذهبت. هل أحمل في قلبي حنينًا أم صدمة؟ أتساءل، أكتب، أفكر، لكن دون إجابة. في الخارج، يشغلني إصرار الناس على استخدام البيوت القديمة طالما كانت قابلة للاستعمال، بيوت شُيدت بالفعل، استهلكت الموارد البيئية بالفعل، ولكنها احتضنت البشر وما زالت قادرة على ذلك، فلماذا يمكننا الاستغناء عنها؟ أقف متأملة هذه البيوت وألتقط صورها وأتنفس بعمق. أتذكر كيف تلتهم مدينتي موجات التطوير والنمو الاقتصادي السريع، الذي لا يحمي الفرد ولا يحمي أسرتي البسيطة ولا يحمي مجتمعي، وبالتالي لا يحمي غالبية سكان بلدي. نادرًا ما أجد على أطراف المدينة هذه البيوت صامدة، فأدعو ألا يطالها التطوير.

طال التطوير أسرتي الصغيرة في محافظتنا في الصعيد مرة، لكنه ترك جرحًا في قلبي لم يذبل. كل مرة أرى فيها هذه البيوت أتألم. غادرنا بيتنا الذي كان في الأصل بيت أجدادي، لأكثر من ستين عامًا احتضنت جدرانه أسرارنا، لكن المستثمرين نهشوه ليبنوا برجًا إسمنتيًا ضخمًا وقبيحًا لا يمت بصلة إلى ملامح بيتنا القديم.

كان بيتًا واسعًا من طابقين، تملؤه الشرفات وغرف النوم، خيره لا ينضب. كنا جميعًا نهتم بالحفاظ عليه، نأمل أن نبقى بين جدرانه ما دام قادرًا على الصمود. فجأة، ظهر المستثمر. بدأ بالنقاش،

فرفضت أمي بشدة. استخدم نفوذه، لكنها صمدت لأجلنا، ولأجل ما بذله جدي وأبي من سنوات في البناء والحب. بعد تهديدات لسلامتنا، بدأت المفاوضات النهائية. ءرحلنا بمبلغ زهيد، هاربين إلى مصير شبه مجهول. إرادة أهلي استمرت لسنوات، لكن الجرافة هزمتهم. حولّه المستثمر إلى برجٍ عال بأكثر من ١٠ طوابق، على نفس المساحة في الشارع الضيق، لا أراه إلا تجسيدًا لما التهمنا. مررت بجوار البيت مرارًا بعد فترة لأتجاوز مشاعري، فرأيت ذكرياتنا ومشاعرنا ينهشها البلدوزر باسم التطوير. ونحن نبكي على الركام، لا نعلم ماذا نفعل سوى توثيق قصتنا وأننا مررنا من هنا. غادرت بيتنا قسرًا، ثم غادرت الصعيد، ولكن الجنوب وبيتي وكوابيس الجرافة العمرانية- البلدوزر- لم يغادروني أبدًا.

لا أقصد الكآبة عن الحنين إلى البيوت القديمة، لا أنكره، ولكن أُصِّر على توضيح الرفض الضمني للتوسع العمراني السريع الذي يُدمِّر هذه المباني، بيتي وغيره.

المساحات العامة

أنت/تِ بصدد قراءة قصة شخصية... تجادل أني لست رقمًا، أكتب كشخص يبحث عن بيئة معيشية أفضل خارج محافظته الأصلية، ولكنه يصطدم بالتحديات التي تفرضها الحياة في المدينة الكبيرة، مثل: تلوث الهواء، والافتقار إلى المساحات الخضراء، وسيطرة المستثمرين على الأماكن العامة. أكتب وأربط أفكاري بحركة "التباطؤ الاقتصادي". أعيد دعوتي وطرحي لإعادة التفكير في النمو الاقتصادي السريع. أحاول ربط ما تحمست له في طرح «تفكيك النمو- التباطؤ الاقتصادي» بما أعيشه في واقعي اليومي. أحاول تحدي النمو العمراني الشرس والبلدوزر بتفكير أكثر حساسية. أتأمل بحثي المستمر عن المساحات الخضراء أو الشواطئ المجانية. وأتساءل من يستطيع حمايتنا؟ ومن يُؤمِّن لنا أبسط حقوقنا في الرفاهية؟ كيف أرى الطبيعة من بين أسوار المدينة؟ متى يضعنا النمو في الاعتبار؟ أيها النمو السريع، هل تراني؟

"تفكيك النمو- التباطؤ الاقتصادي" هو طرح وحركة اقتصادية واجتماعية يُشجِّع على التوقف عن ربط الرفاهية بالنمو الاقتصادي المادي والإنتاج الاقتصادي العنيف المبني على الندرة المصطنعة،

والتركيز بدلاً عن ذلك على تحسين جودة الحياة من خلال حماية الهوية الاجتماعية والتراث الثقافي. كما يدعو إلى تقليل معدلات النمو الاقتصادي من أجل تحقيق التوازن البيئي والعدالة الاجتماعية، بدلاً عن التركيز على زيادة الإنتاج والاستهلاك.

تمر الأعوام، وأترك محافظتي في الصعيد لأتحرك إلى القاهرة، كغالبية أبناء الأقاليم. هذا غالبًا ما اجبرتنا عليه المدينة، بحثًا عن فرص العمل، وبناء معيشة أفضل.

في البداية، كانت تهاجمني فكرة كيف سأصمد وسط كل هذه العوادم، واتحسس صدري واطمئنه أننا لن نموت من الأزمة يومًا ما، وأعده أننا سنبدأ سويًا مثلاً رحلة البحث عن الأخضر، أو شجرة نحتمي بظلها.

جئت بخيالٍ واعد عن الجنائن العامة المجانية. ولكني فوجئت أن المستثمر الذي التهم بيتنا في الصعيد، هو واحد من ضمن مستثمرين كثر هنا في العاصمة يحميهم نفوذهم، أو هم النفوذ أصلاً.

صرت أبحث هنا عن الخضار الذي سيحمينا من العوادم، أو سيحمي عقلنا من الجنون وسط عجلة النمو السريع. تقول الأبحاث أن الفرد يحتاج إلى دقائق في الطبيعة يوميًا كي يحافظ على عقله سليمًا. ولكن البديهي الذي لا تقوله الأبحاث أن يجد الإنسان شجرة يتظلل تحتها عند السخونة، يحتمي من أن تأكل الحرارة رأسه بعدما نهش صدره العوادم.

سلوك الاحتلال

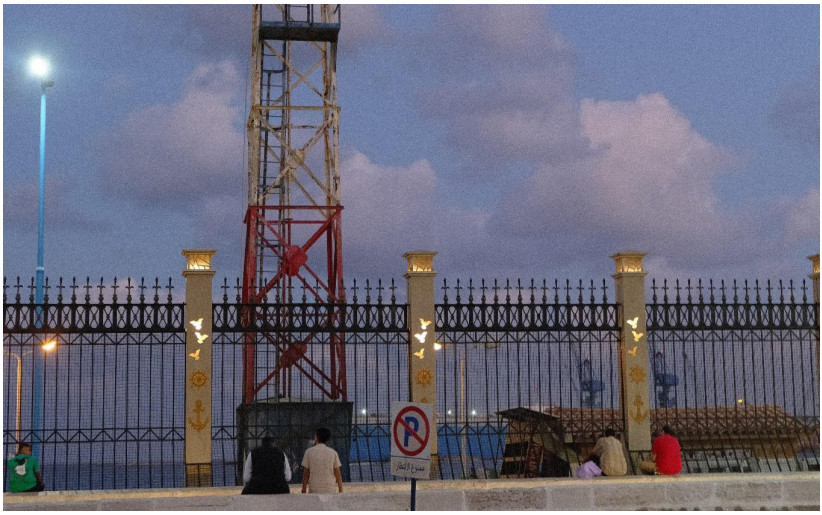

في زيارةٍ إلى بورسعيد، رأيت البحرَ المتوسطَ محاطًا بسورٍ، ثم سورٍ، ثم البحر. لم أتعجب، لأني رأيت البحرَ محاطًا بالأسوار في السنوات الأخيرة في الإسكندرية، ورأيت أيضًا صعوبةَ الوصول إلى شواطئ مجانية تستوعب جميعَ الأفراد بمختلف طبقاتهم الاجتماعية خلال السنوات الأخيرة في مصر، كما هو الحال في الحدائق.

وقفتُ لثوانٍ وسألت العسكري: «عايزة أخش، زي الصيادين اللي جوه»

فأجاب: «ممنوع، مفيش صيادين جوا، دول ضباط»

عمر هذا السور من عامٍ إلى ثلاثة أعوام، كحال جميع الأسوار غالبًا في هذه المدينة.

أسوار بيننا وبين الطبيعة، كسلوك الاحتلال.

أيها العالم الأخضر الجميل، خبأتك بقلبي من البلدوزر والنمو السريع.

بحثًا عما أفقدتني الرحلة؟

محمد مجاهد

بحثا عما أفقدتني الرحلة؟

أظنني أشبه نشأتي؛ أميل إلى الهدوء وتبسيط الأمور. فيصعب عليّ فهم لماذا يفضل البعض الحديث عن أمور نلمسها بشكل شخصي جدًا بألفاظ ومفاهيم وعبارات رنانة، صعبة الفهم.

أنا هنا بعد ثلاث أيام من مناقشات حول طرح اقتصادي بديل، يعمل جنبًا إلى جنب مع الرأسمالية لكنه يكررها ضمنًا فيحاول لفت الأنظار بعيدًا عن قضايا الثروة والنمو الاقتصادي، والتجارة العالمية، والسوق المفتوح في خطاب يجدد تعريف العدو أو بشكل أصح يجدد تعريف الخطر، ويعيد تموضوع مخاطر التغيرات المناخية كنهاية حتمية للكوكب أجمع، مما يجعلنا نتكاتف للتصدي لها قدر الإمكان.

لكني لا اعلم أين موقفي من هذا الطرح، أو من نظريات النمو الاقتصادي، لكن تتقاطع سردياتي الشخصية مع أخطار مشابهة، لا أعلم هل هي بعنف التغيرات المناخية، هل تستطيع أن تواجه سلطة وعنف الرأسمالية؟ لا أعلم. لكن دعوني أبدأ ببعض التساؤلات عن الإدراك المكاني.

أين يلعب أبناء المدينة؟

طنطا ٢٠١٥: شاب يخرج من بيته متوجها لممارسة رياضة الجري ف ما كان يسمى استاد طنطا الرياضي. بدأ الجري ليفاجئه الموظف المسؤول: على فكرة ماتيجيش هنا بكره عشان التراك هيتوقف عن العمل للتحسينات! وكان واضح من الكلام أن التحسينات ستطول. استغربت وتساءلت: تحسينات ايه؟ ما هو كويس أهو وزي الفل! استكملت الجري وأنا ضائق الصدر وأفكر يا ترى التحسينات دي هتنتهي إمتى، ويا ترى يرضي مين الكلام ده؟ جريت آخر جرية ليا في الاستاد وروحت مثقل بهم هجري فين بكره في الشوارع اللي مش مناسبة أبدا للجري وحتى لا للمشي أحيانًا؟

بعد يومين كان عندي أمل في جرية أخيرة، لكن للأسف وجدت باب الاستاد مقفول بقفل جديد ضخم قدر ضخامة المستعمر. فهمت أن الموضوع قد حُسم. مشاعر الضيق تحولت إلى غضب وقررت أن استفهم أكثر من مسؤول أكبر. أشعل سيجارته وقال: أيوة فعلا الاستاد كله هيتقفل وهترجع ملكيته للمحافظة بعد ما كانت لوزارة الشباب والرياضة وهيتعمل على مساحته مشروع ضخم.

بعد شهور بدت أعلام «المستعمر» على المباني، وبدأت عمليات الهدم لمكونات الاستاد: ملاعب كرة القدم والسلة وحمام السباحة وصالة ألعاب رياضية (جيم) صغيرة. وتحول إلى نادي City Club ولم أدخله من يومها.

أين تذهب حيوانات الحديقة وأحكام الرؤية؟

في ٢٠١٩، قررت صديقتي القاهرية زيارتي في طنطا، ولأننا نحب الأماكن المفتوحة التي ترى السماء بسهولة، لم يكن أمامنا سوى الغيط وحديقة حيوان طنطا (حديقة الأندلس/ المنتزه)، وهي أكثر مكان فيه ذكرياتي كطفل. كان أحلى يوم عندما تصطحبنا أمي من المدرسة لنأخذ وجبة الغذاء وسط الحيوانات في الحديقة ونجري ونلعب ونتسلق الاشجار ونشم هواءً نقيًا، وكل هذا بتكلفة بسيطة ويكون الجميع سعداء. وكان للحديقة دورًا آخر أكده مسؤول في وزارة الزراعة، أنها تخدم ٧٠ من الآباء ممن لهم أحكام بحق الرؤية لأبنائهم تتم يوميًا داخل الحديقة بموجب أحكام قضائية.

بعد حوالي سنة من لقائي صديقتي في الحديقة وقضاء يومًا جميلاً برفقة حيوانات الطفولة، فوجئت وأهالي طنطا بغلق بوابة الحديقة المميزة في وسط المدينة وتشميعها بالشمع الأحمر. وجاء التفسير بعد ذلك بأن رئيس الجمهورية أنهى مشكورًا الصراع الدائر بين الإدارة المركزية لحدائق الحيوان بوزارة الزراعة ومحافظة الغربية حول ملكية الحديقة، بإصدار قرارًا بإزالة صفة النفع العام عن عدد من أملاك الدولة، من بينهم حديقة حيوان الأندلس بطنطا.

لا أعلم ماذا حدث لحيوانات الحديقة بالضبط. ربما وزعوهم على حدائق حيوان أخرى، أو باعوهم، أو أرسلوهم إلى الإمارات؟! على أي حال، انفصلت أنا وصديقتي، وهُدمت الحديقة وقُطعت

أشجارها التاريخية، وتحولت إلى محطة بنزين Chillout كئيبة تثير غثياني كلما مررت بجوارها. خلال أيام الورشة عرفت عن مفهوم التسييج (كما هو حسب degrowth)، وأدركت ما وراء ما يحدث من تحولات في المدينة. أدركت أيضًا أن عملية استعمار المدينة من قبل المستثمرين تحدث على مراحل، أولها إهمال مقصود (أو متعمد، الله أعلم) حتى تصبح المساحة العامة لا تؤدي وظيفتها بكفاءة، ثم يأتي «المستثمر» لإنقاذنا وتسييج هذه المساحة العامة وتحويلها إلى مشروع رأس مالي قمئ؛ كتحويل حديقة حيوان إلى محطة بنزين، وتحويل استاد رياضي محلي شعبوي إلى نادي خاص باشتراك يبلغ مئات الألوف ويقتصر على خدمة فئة معينة.

فكرت في عدد الأماكن العامة التي كانت موجودة في طنطا واختفت، الجزيرة في منتصف شارع البحر، حتى الأرصفة في الشوارع الأصغر تقلصت لتوسعة الشارع للسيارات وليذهب الماشي على رجليه للجحيم، وبالطبع ركوب الدراجة كهواية سيكون مغامرة غير ممتعة! رأيت طنطا جميلة في طفولتي ولكنها لم تعد كذلك. أصبحت مدينة ثقيلة على قلبي.

بوابة حديقة حيوان الأندلس ٢٠١٣ وجزيرة كانت موجودة في شارع البحر لم تعد موجودة.
المصدر: ويكيبيديا

مدخل الحديقة حالياً، المصدر: صفحة موجز أخبار كفر الزيات على فيسبوك

صورتان من ذكرياتي في الحديقة

صورة للحديقة أثناء مرحلة الإهمال الذي يسبق «التطوير» لصديقتي وهي تلاعب النعامة التي لا أحد يعرف أين مكانها الآن. تصويري

طاووس لا أحد يعرف مكانه! تصويري

هي العيال بتقلع و تنزل تعوم 😳 في نافورة بنزينة شيل
وت في شارع البحر؟ 😆 دي كانت المنتزة ارحم 😔

محاولة أبناء طنطا للعب في نافورة مياه وُضعت مكان مدخل حديقة الأندلس سابقًا، محطة بنزين حاليًا *chillout*

المصادر:

https://www.shorouknews.com/mobile/news/view.aspx?cdate=09052020&id=94d1b3a0-77ee-42d4-9f39-6b5de99e07af

https://www.facebook.com/CityClubEgypt/videos/505505497483418/

https://manshurat.org/node/70603

https://m.elwatannews.com/news/details/360964/

https://tinyurl.com/y5pbuss8

https://www.elwatannews.com/news/details/4746798

٢٠١٥
النادى مغلق للتحسين
هجرى فين؟؟؟
ايام وايام وايام وايام
هدم
نادى جديد
ناس تانية
City Club
أنته اخرجه انا شفت الشمس؟
انا محبوس فى الشغل
هصيب الشغل

ملحق
تفكيك النمو:
نظرية الوفرة الجذرية

جاسون هيكل

ترجمة: خلود سعيد

ملحق

تفكيك النمو: نظرية الوفرة الجذرية[١٦]

بينما تزداد وطأة أزمة المناخ وتتقلص ميزانية الكربون التي وضعتها اتفاقية باريس، يُركّز علماء المناخ والبيئة على النمو الاقتصادي كقضية حيوية. يُزيد النمو الطلب على الطاقة، ويجعل من الصعب بمكان- أو ربما من غير القابل للتنفيذ- تحويل البلاد نحو الطاقة النظيفة بسرعة تكفي لمنع المستويات الكارثية المُتوقعة للاحتباس الحراري. في السنواتِ الأخيرة، جادل علماء الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (IPCC) أن الطريقة الوحيدة الممكنة لتحقيق أهداف اتفاقية باريس هي التقليل النشط للمواد المُستخدمة في الإنتاج للاقتصاد العالمي. إن تقليل المواد المُستخدمة يُقلل الطلب على الطاقة، مما يُسهّل تحقيق الانتقال نحو الطاقة النظيفة.

يعترف علماء الاقتصاد البيئي أن هذا النهج- المعروف بتفكيك النمو[١٧]- يمكن أن يستلزم تقليل النشاط الاقتصادي الكلي كما يقيسه حاليًا الناتج المحلي الإجمالي (GDP). ربما يبدو هذا التحول معاد للتطور البشري، ويهدد بإثارة مختلف العواقب الاجتماعية السلبية. ولكن أنصار تفكيك النمو يقترحون أنه يمكن تحقيق التقليل المخطط للإنتاجية في البلاد عالية الدخل مع الحفاظ- في الوقت نفسه- على مستويات المعيشة وربما تحسينها. تركّز مقترحات السياسات على إعادة توزيع الدخل الحالي، وتقليص أسبوع العمل، وتوفير ضمان وظيفي وأجور المعيشة، مع توسيع إتاحة المنافع العامة.

١٦- صدر هذا المقال في دورية Real World Economics Review، العدد 87، 19 مارس 2019، متاح على: http://www.paecon.net/PAEReview/issue87/Hickel87.pdf. هذه الترجمة بإذن خاص من الكاتب.

١٧- يعد الـdegrowth مفهومًا جديدًا لم يتغلل بعد في الأدبيات العربية. أثرتُ ترجمته على هذا النحو للتركيز على متضمنات البادئة de وليس anti بمعنى ضد، باختلاف عن ترجمات سابقة استخدمت عبارات "تقليل النمو" و"النمو السلبي" و"الانكماش" التي لا أعتقد أنها تعكس كل مستويات معاني المفهوم كما فهمته (المترجمة).

مع الكشف عن الشكل المحتمل لهذه السياسات وكيفية تطبيقيها، أقف هنا لأتأمل المنطق الاقتصادي الأعمق لنظرية تفكيك النمو. على السطح، يبدو تفكيك النمو كاقتصادٍ للندرة، كما تسرع في الحكم الكثيرين من اليمينيين واليساريين. في الحقيقة العكس هو الصحيح. تكشف النظرة المتفحصة لتاريخ الرأسمالية أن النمو دائمًا ما كان معتمدًا على التسييج[١٨]. تذهب مفارقة لوديرديل-جيمس ماتلاند- إلى أن زيادة "الثروات الخاصة" تحقق بتقييد "الثروة العامة"، ليس فقط للحصول على قيمة حرة من العوام، ولكن- كما أجادل- للوصول إلى "ندرة مصطنعة" تضغط لزيادة الإنتاجية التنافسية.

يسعى تفكيك النمو إلى قلب مفارقة لوديرديل. فبدعوته لتوزيع أكثر عدلاً للموارد الحالية وتوسيع المنافع العامة، يطالب تفكيك النمو بالوفرة وليس الندرة (انظر/ي سالينس ١٩٧٦، وجالبريث ١٩٩٨، ولاتوش ٢٠٢٤، ودي أليس وآخرون ٢٠١٤). أبني على هذا التصور لتوضيح أن هذه المقاربة لا تُجّسِد فقط بديلاً للاقتصاد القائم على النمو، ولكنها في الحقيقة تُقدِّم ترياقًا للآليات المُحركة للنمو نفسه. وبهذا يُحرَّر كل من الإنسان والنظام البيئي من هذه القبضة. وبتطوير نظرية للوفرة، يطرح تفكيك النمو مسارًا سياسيًا ممكنًا نحو اقتصاد بيئي ملائم لحقبة التأثير البشري (عصر الأنثروبوسين).

اتفاقية باريس وحتمية تفكيك النمو

أصدرت الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ عام ٢٠١٨ تقريرًا خاصًا يستعرض الإجراءات

١٨- بعض الأدبيات تستخدم مصطلحات أخرى مثل الاحتجاز للإشارة إلى حركة دمج الأراضي الزراعية في إنجلترا منذ القرن الثالث عشر (المترجمة).

اللازمة لمنع الاحترار العالمي لأكثر من درجة ونصف مئوية عن مستويات ما قبل الثورة الصناعية. وخلص التقرير إلى أن الانبعاثات العالمية يجب أن تنخفض إلى النصف بحلول ٢٠٣٠، وأن تصل إلى معدل صفر في منتصف القرن، وهذا منحنى درامي يتطلب قلب سريع لاتجاه الحضارة الإنسانية. لا يوجد حاليًا أي خطة مُتفق عليها لهذا الغرض. إن التعهدات الطوعية للموقعين على اتفاقية باريس للمناخ عام ٢٠١٥ لا تستتبع تقليص قاطع للانبعاثات العالمية، وتضعنا على مسار احترار بمعدل ٣٫٤ درجة مئوية بنهاية القرن، بزيادة كبيرة عن الدرجة والنصف والدرجتين التي أقرتها اتفاقية باريس.

السبب الرئيسي لهذه المشكلة أنه من المتوقع أن يدفع النمو الاقتصادي الطلب على الطاقة بمعدل أعلى من قدرة تعميم الطاقة النظيفة (رافتيري وآخرون ٢٠١٧)؛ وهي مشكلة قائمة بالفعل في القرن الحادي والعشرين. ينتج العالم حاليًا ٨ مليون ساعة ميجا وات من الطاقة النظيفة سنويًا بالمقارنة بعام ٢٠٠٠. ولكن خلال نفس الفترة، تزايد الطلب على الطاقة لـ ٤٨ مليون ساعة ميجا وات. بعبارةٍ أخرى، تغطي القدرة الجديدة للطاقة النظيفة فقط ١٦٪ من الطلب المتزايد. طبعًا من الممكن تقنيًا زيادة إنتاجية الطاقة النظيفة لتغطية إجمالي الطلب العالمي (جاكوبسون وديلوتشي ٢٠١١)، ولكن السؤال هو هل يمكن تحقيق ذلك بمعدل متناسب مع تكلفة الكربون لدرجة ونصف أو درجتين مئويتين مع نمو الاقتصاد العالمي بنفس الوتيرة؟

يمكن تناول هذا السؤال بالنظر إلى معدلات الحد من الكربون المتوقعة. إذا افترضنا استمرار نمو الناتج المحلي الإجمالي العالمي بمعدل ٣٪ سنويًا (وهو المتوسط بين ٢٠١٠ و٢٠١٤)، فسيكون الحد من الكربون بمعدل ١٠٫٥٪ سنويًا لدرجة ونصف مئوية، أو ٧٫٣٪ لدرجتين. وإذا تباطئ الناتج المحلي الإجمالي وأصبح معدل النمو السنوي ٢٫١٪ (كما تتنبأ برايس ووترهاوس كوبرز)، فسيكون الحد من الكربون بمعدل ٩٫٦٪ سنويًا لدرجة ونصف مئوية، أو لدرجتين بمعدل ٦٫٤٪. هذه الأهداف لا تتماشى مع مؤشرات النماذج التجريبية (الإمبريقية) (انظر/ي هيكل وكاليس ٢٠١٩). فعلى سبيل المثال، يشير شاندل وآخرون (٢٠١٦) إلى أن ٣٪ سنويًا هي أكثر معدلات الحد من الكربون تفاؤلاً. وتتوقع أدوات C-ROADS (المراجعة السريعة ودعم اتخاذ القرار للمناخ)- التي طورتها

Climate Interactive وMITSLOAN- الحد من الكربون بمعدل أقصى ٤٪ سنويًا بأكثر سياسات التخفيض الممكنة: زيادة الدعم للطاقة المتجددة والنووية، ورفع الضرائب على النفط والغاز والفحم. يذهب هولز وآخرون (٢٠١٨)- في مراجعتهم للدلائل الحالية- إلى أن معدل الحد من الكربون المطلوب لتحقيق أهداف اتفاقية باريس "أبعد مما هو قابل للتحقق اليوم، وفقًا للدلائل التاريخية والنماذج القياسية".

أدرك علماء الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ هذه المشكلة. ففي تقرير التقييم المتكامل الخامس (AR٥)، افترضوا الوجود المستقبلي لتقنيات "انبعاثات سالبة" متخيلة. تذهب النظرية إلى أن النمو المعتاد يسبب زيادة الانبعاثات عن معدل الكربون على المدى المتوسط، ولكن هذا لا يسبب مشكلة طالما نجد طريقة للتخلص من الكربون في الغلاف الجوي لاحقًا خلال هذا القرن. المقترح السائد لتحقيق هذا الهدف معروف باسم طاقة حيوية مع التقاط[١٩] الكربون وتخزينه BECCS، ويستلزم تطوير زراعة أشجار كبيرة حول العالم لامتصاص ثاني أكسيد الكربون من الغلاف الجوي، وحصاد الكتلة الحيوية، وحرقها للحصول على الطاقة، والتقاط الانبعاثات من منبعها وتخزين النفايات في باطن الأرض. في تقرير التقييم المتكامل الخامس، تعتمد الغالبية العظمى من التصورات (السيناريوهات)- ١٠١ من أصل ١١٦- للوصول إلى احترار درجتين مئويتين على مقترح BECCS لدرجة تحقيق انبعاثات سالبة.

ولكن مقترح BECCS موضع خلاف بين العلماء، وهناك عدة مآخذ عليه؛ أولاً: لم تُثبت الجدوى الاقتصادية أو قابلية التوسع لمولدات الطاقة مع التقاط الكربون وتخزينه (بيترز ٢٠١٧). وثانيًا: مدى الكتلة الحيوية المفترضة في تصورات تقرير التقييم المتكامل الخامس يستلزم مزارع أشجار تغطي أرضًا من ضعفين إلى ثلاثة أضعاف مساحة الهند، مما يطرح تساؤلات حول توافر الأراضي، والتنافسية مع إنتاج الغذاء، وحيادية الكربون، وفقدان التنوع الحيوي (سميث وآخرون ٢٠١٥، هيك وآخرون ٢٠١٨). وثالثًا: أن قدرة تخزين ثاني أكسيد الكربون المطلوبة ربما غير موجودة أصلاً (دي كونينك وبينسون ٢٠١٤، والمعهد العالمي لالتقاط الكربون وتخزينه ٢٠١٥). يخلص

١٩- بعض الترجمات تعتمد مصطلح احتجاز (المترجمة).

أندرسون وبيترز (٢٠١٦) إلى «تبقى تقنية BECCS إذًا مثارًا للجدل» ومن ثمّ فالاعتماد عليها «مقامرة غير محمودة» لإنها إذا باءت بالفشل «يبقى المجتمع في مسار عالي الحرارة». يشارك عدد متزايد من العلماء هذه النتيجة (على سبيل المثال فوس وآخرون ٢٠١٤، وفوغان وجوه ٢٠١٦، ولاركين وآخرون ٢٠١٧، وفان فورين وآخرون ٢٠١٧)، وكذا المجلس العلمي الاستشاري للأكاديميين الأوروبيين (٢٠١٨).

وردًا على هذه المآخذ، أصدرت الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ في ٢٠١٨ للمرة الأولى تصورًا لتقليل الانبعاثات متناغم مع اتفاقية باريس ولا يعتمد على تقنيات انبعاثات سالبة مُتخيلة. التصور الذي طوره جروبلر وآخرون ومعروف باسم الطلب المنخفض على الطاقة LED يعمل على تقليل الاستهلاك العالمي للطاقة بنسبة ٤٠٪ بحلول ٢٠٥٠، مما يزيد من قابلية تحقيق تحول تام نحو الطاقة النظيفة. الخاصية الأساسية لهذا التصور هي الانحسار الشديد للإنتاج والاستهلاك العالمي للمواد: "يقل الإجمالي الكلي لإنتاجية المواد بحوالي ٢٠٪ عما هو عليه حاليًا، ثلث هذه النسبة يرجع إلى تقليل المواد، والثلثين بسبب تحسين الكفاءة". يُفرِق الطلب المنخفض على الطاقة بين الشمال العالمي والجنوب العالمي؛ حيث يقل الإنتاج والاستهلاك الصناعي بنسبة ٤٢٪ في الشمال العالمي بينما النسبة ١٢٪ في الجنوب. ومع تحسين كفاءة الطاقة، ينعكس هذا بتباطء الطلب على الطاقة الصناعية بمعدل ٥٧٪ في الشمال و٢٣٪ في الجنوب.

يُمثّل نموذج الطلب المنخفض على الطاقة تصورًا لـ"تفكيك النمو" يعتمد خفضًا مخططًا لإنتاجية المواد والطاقة في الاقتصاد العالمي. ويقترح تضمينه في تقرير الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ- بوصفه التصور الوحيد الذي لا يعتمد على تقنيات انبعاثات سالبة مشكوك في أمرها- أن تفكيك النمو هو الطريقة الوحيدة لتحقيق هدف اتفاقية باريس لخفض الانبعاثات، وهو حجر أساس في نظرية تخفيف آثار تغير المناخ. اللافت للنظر في هذا النهج أنه لا يتناول فقط الانبعاثات وتغير المناخ، ولكنه يقلل التبعات البيئية بين مختلف المؤشرات المفتاحية منها التصحر، والتلوث الكيميائي، ونضوب التربة، وفقدان التنوع الحيوي، وغيرها (روكستورم وآخرون ٢٠٠٩، وستيفين وآخرون ٢٠١٥).

تساعد العديد من السياسات في تقليل إنتاج المواد وفقًا لتصور الطلب المنخفض على الطاقة، منها: تشريع ضمانات مُطولّة على المنتجات فتدوم سلع مثل الغسالات والثلاجات ٣٠ عامًا وليس ١٠، وحظر التقادم المُخطط وتطوير "الحق في التصليح" بتكلفة رخيصة وبدون قطع غيار خاصة. ويمكن تشريع تقليل هدر الطعام (كما يحدث في كوريا الجنوبية وفرنسا وإيطاليا)، وفرض الضرائب على اللحوم الحمراء لتعزيز التحول نحو غذاء غير كثيف المصدر، ومنع البلاستيك أحادي الاستخدام، والحد من الإعلانات في الأماكن العامة لتقليل الضغوط على الاستهلاك المادي. ولكن تحقيق خفض مستدام يستتبع غالبًا فرض حد أقصى للاستخدام السنوي للمواد وتقليصه عامًا بعد عام حتى يصل لما يحدده علماء البيئة كمستويات مستدامة: ٥٠ مليار طن سنويًا عالميًا، أو من ٦ إلى ٨ طن للفرد (انظر/ي ديتريتش وآخرون ٢٠١٢، وهوكسترا وويدمان ٢٠١٤، والفريق الدولي المعني بالموارد- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ٢٠١٤، وبرينجيزو ٢٠١٥).

فرضية تفكيك النمو

ظهرت فكرة تفكيك النمو لأول مرة في بداية القرن الحادي والعشرين على يد علماء الاقتصاد البيئي ومنظري ما بعد التنمية (مثل لاتوش ٢٠٠٩، وفيكتور ٢٠٠٨، وجاكسون ٢٠٠٩، وأليه ٢٠٠٩، وكاليس ٢٠١١ و٢٠١٨). وجذبت الانتباه في السنوات الأخيرة حتى إنها ظهرت في منصات إعلامية شعبوية. يهدف تفكيك النمو إلى تقليل إنتاجية الاقتصاد العالمي في المواد والطاقة بالتركيز على البلاد ذات الدخل العالي بمستوياتٍ كبيرة من الاستهلاك لكل فرد. الفكرة هي الوصول لهذا الهدف بتقليل الهدر وتقليص قطاعات النشاط الاقتصادي المدمرة للبيئة والتي تُقدِّم القليل من الفائدة الاجتماعية- إن وجدت (مثل التسويق، وإنتاج سلع على شاكلة المنازل الفاخرة، والسيارات الرياضية، واللحم البقري، والبلاستيك أحادي الاستخدام، والوقود الأحفوري).

يدرك علماء تفكيك النمو أن تقليل الإنتاجية الكلية غالبًا ما يستلزم تقليل النشاط الاقتصادي الكلي كما يقيسه حاليًا الناتج المحلي الإجمالي، نظرًا للتلازم التاريخي المتين بين الإنتاجية المادية والإنتاج (انظر/ي هيكل وكاليس ٢٠١٩، وورد وآخرين ٢٠١٦، برنامج الأمم المتحدة للبيئة ٢٠١٧)

للوهلة الأولى، ربما يبدو هذا احتمالاً مقلقًا. اعتاد الاقتصاديون وصناع السياسات على مساواة الناتج المحلي الإجمالي بالتقدم البشري وتحسين الرفاه، لذا ربما من المعقول استنتاج أن أي هبوط في الناتج المحلي الإجمالي يستلزم هبوطًا في مستوى الرفاه. وبشكل عام، تقليل الناتج المحلي الإجمالي يبدو كركود اقتصادي وله آثار اجتماعية مضرة: تسريح العمّال وارتفاع معدلات البطالة، وعندما يفقد الأشخاص وظائفهم لا يستطيعون دفع مقابل السكن والغذاء والرعاية الصحية والتعليم والسلع

الأساسية الأخرى. كما تجد الدول والمؤسسات والأسر نفسها غير قادرة على الوفاء بمديوناتها، مما يرفع خطر وقوع أزمة مالية.

لكن الركود الاقتصادي يختلف تمامًا عن تفكيك النمو؛ فالركود هو تقليص للاقتصاد الحالي (الاقتصاد المتطلب للنمو ليحافظ على استقراره)، بينما يدعو تفكيك النمو إلى التحول نحو نوع آخر من الاقتصاد (اقتصاد لا يتطلب النمو أصلاً). تجادل أدبيات تفكيك النمو أنه من الممكن تقليل النشاط الاقتصادي الكلي في الدول ذات الدخل العالي مع الحفاظ على- بل وتحسين- مؤشرات التنمية البشرية والرفاه. يمكن تحقيق هذا بسلسلة من السياسات الإصلاحية المتكاملة؛ على سبيل المثال مع غلق الصناعات السيئة وغير الهامة للمجتمع وتقليص النشاط الاقتصادي الكلي، يمكن القضاء على البطالة بتقصير أسبوع العمل وإعادة توزيع العمالة اللازمة (على القطاعات النظيفة والمفيدة للمجتمع) بضمانات وظيفية. ويمكن الحيلولة دون فقدان الأجور المترتب على تقليص ساعات العمل بزيادة الأجور وسياسات معيشية. ولحماية الاستثمارات الصغيرة التي ستجد صعوبة في دفع أجور أعلى، يمكن تطوير نموذج عالمي للحد الأدنى للدخل ببنود تمولها ضرائب على الكربون والثروة وقيمة الأرض واستخراج الموارد وأرباح الشركات. واُعتمدت هذه السياسات في تصورات تفكيك النمو التي طورها دي أليساندرو وآخرون (٢٠١٨) وفيكتور (٢٠١٩).

السمة الأساسية لاقتصادات تفكيك النمو أنها تتطلب توزيعًا تدريجيًا للدخل الحالي، مما يقلب المنطق السياسي المعتاد للنمو. في مسعاهم لتحسين الرفاه البشرية، يعد الاقتصاديون وصناع السياسات النمو بديلاً للمساواة: فمن الأسهل سياسيًا زيادة مجمل الدخل وتوقع أنه سيحسن حياة الأشخاص العاديين،

من توزيع الدخل القائم بشكل أكثر عدلاً لأنه يستلزم هجومًا على مصالح الطبقة المهيمنة. ولكن إذا كان النمو بديلاً للمساواة، فبنفس المنطق تكون المساواة بديلاً للنمو (ديتس وأونيل ٢٠١٣). وبتوزيع أكثر عدلاً للدخل القائم يمكن تحسين الرفاه البشرية وتحقيق الأهداف المجتمعية **بدون** النمو- ومن ثمَّ بدون إنتاجية إضافية للمواد والطاقة. كما أشرنا أعلاه، يعد تطبيق آليات لأسبوع عمل أقصر وضمان وظيفي وسياسات أجور معيشية ضروريًا لهذا الغرض، بالإضافة إلى الاستثمار في الخدمات العامة. وبالتوسع في إتاحة رعاية صحية وتعليم وسكن ملائم ووسائل مواصلات ومرافق وأماكن للترفيه بجودة عالية، نحقق تمكين الأشخاص من الوصول إلى السلع الضرورية للحياة بدون الحاجة إلى مستوياتٍ عاليةٍ من الدخل.

تُوضِّح الدلائل التجريبية الحالية أنه يمكن تحقيق مؤشرات مجتمعية عالية دون مستويات عالية من الناتج المحلي الإجمالي للفرد. فبعد نقطة معينة، تقل العلاقة بين الناتج المحلي الإجمالي للفرد والمؤشرات المجتمعية. فلنأخذ مأمول العمر (متوسط العمر المتوقع) على سبيل المثال: فبينما هناك علاقة متبادلة بين الناتج المحلي الإجمالي للفرد وطول العمر (بشكل عام البلاد ذات الناتج المحلي الإجمالي الأعلى للفرد لديها متوسط عمر مرتفع)، تتبع هذه العلاقة منحنى متشبع مع تناقص حاد للعائدات (برستون ٢٠٠٧، وستينبيرجر وروبيرتس ٢٠١٠). يعتمد طول العمر على متغيرات أخرى بجانب الناتج المحلي الإجمالي، مثل الاستثمار في الرعاية الصحية الشاملة. على سبيل المثال، يسمح النظام الصحي في كوستاريكا بنفس مأمول العمر في الولايات المتحدة الأمريكية ولكن فقط بخُمس الناتج المحلي الإجمالي للفرد (سانشي-أنوتشي ومارتينز فرانتسوني ٢٠١٦). وبالمثل، هناك علاقة هشة بين الناتج المحلي الإجمالي للفرد والسعادة أو الرفاه (انظر/ي إيستيرلين ١٩٩٥، وإيستيرلين وآخرين ٢٠١٠).

فعلى سبيل المثال، معدلات السعادة لم تتغير في الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة منذ أوائل سبعينات القرن المنصرم، بالرغم من الزيادة الكبيرة في معدلات الناتج المحلي الإجمالي للفرد. ووفقًا لاستطلاع جالوب العالمي، لدى ألمانيا والنمسا والسويد وهولندا وأستراليا وفنلندا وكندا والدنمارك بالإضافة إلى كوستاريكا مستويات رفاه أعلى من الولايات المتحدة الأمريكية بالرغم من أن معدلات الناتج المحلي الإجمالي للفرد أقل.

ينطبق نفس النمط على مؤشرات اجتماعية أخرى. الناتج المحلي الإجمالي للفرد في أوروبا أقل بنسبة ٤٠٪ عن مثيله في الولايات المتحدة الأمريكية، ومع هذا تؤدي أوروبا بشكل أفضل في كل الفئات الاجتماعية تقريبًا لأن البلدان الأوروبية تميل أكثر إلى المساواة والالتزام بالمنافع العامة. ولكن حتى هذه البلاد الأوروبية بحاجة ماسة إلى تحسين. تدهورت اللامساواة في أوروبا بشكل كبير منذ ١٩٨٠. ومن منظور تفكيك النمو هذه فرصة سانحة؛ حيث لا يوجد سبب مقرر سلفًا لعدم تحسين الأداء الاجتماعي لأوروبا- بدون أي نمو إضافي- من خلال توزيع الدخل القائم بشكل أكثر عدلاً وحسن استغلال الضرائب التصاعدية لتوسيع المنافع العامة.

الناتج المحلي الإجمالي ليس فقط غير وثيق الصلة بالتنمية البشرية بعد نقطة معينة، ولكنه زيادة الناتج المحلي الإجمالي يميل أن يكون له تبعات سلبية بعدها. تُظهِر المقاييس البديلة للتقدم الاقتصادي- مثل مؤشر التقدم الحقيقي GPI- هذا التأثير. يبدأ مؤشر التقدم الحقيقي من الإنفاق على الاستهلاك الفردي (نفس نقطة البداية للناتج المحلي الإجمالي) ويعدلها باستخدام ٢٤ مُكوِّن، مثل: توزيع الدخل والتكلفة البيئية والتلوث، مع إضافة مُكونات موجبة أغفلها الناتج المحلي الإجمالي مثل الأعمال المنزلية. يستنتج كوبيسيفيسكي وآخرون (٢٠١٣) أن مؤشر التقدم الحقيقي في معظم الدول يزيد مع الناتج المحلي الإجمالي حتى حدٍ معين، يستمر بعدها الناتج المحلي الإجمالي في النمو بينما يثبت مؤشر التقدم الحقيقي وفي بعض الأحيان يتقلص. يعتمد المؤلفون على عمل ماكس-نيف (١٩٩٥) لتفسير هذا الحد بوصفه النقطة التي يصبح عندها نمو التكلفة الاجتماعية والاقتصادية للناتج المحلي الإجمالي هام بمكان لمسح المكاسب المتعلقة بالاستهلاك (ديتون ٢٠٠٨، وإنجلهارت ١٩٩٧).

طبعًا يمكن القول إن النمو الاقتصادي ضروري لحشد الموارد للاستثمار في التغير التكنولوجي المطلوب لتحول نحو الاستدامة. ولكن لا يوجد دليل على فرضية أن النمو **الكلي** ضروري لهذا الغرض. إذا كان الهدف تحقيق نوع معين من الابتكار، فمن المنطقي أكثر الاستثمار المباشر فيه أو تحفيز الابتكار بتدابير سياسات (مثل وضع سقف لانبعاثات الكربون واستخدام الموارد) بدلاً عن نمو الاقتصاد بلا تمييز (بما في ذلك نمو الصناعات السيئة والمُدمرة) ورجاء نتيجة بعينها.

آلة الندرة

بينما أوجزت أدبيات تفكيك النمو التغيرات السياساتية اللازمة لتحقيق انتقال آمن وعادل نحو اقتصاد بيئي لما بعد النمو، لا يزال المنطق وراء هذا الاقتصاد يفتقر إلى التنظير. هل الإصلاحات التي يقترحها علماء تفكيك النمو كافية للقتل الرحيم للنمو الرأسمالي المُلح؟ أرغب في تناول هذا السؤال بتوضيح جدلية أن التوسع في المنافع والخدمات العامة مركزي في تصور تفكيك نمو ناجح، وهي جدلية أعمق مما تبدو عليه لأول وهلة وتفتح عددًا من الأسئلة المثمرة.

فلنبدأ بمثال قريب لخبرتي الشخصية. أسعار المنازل فلكية في لندن، لدرجة أن شقة عادية من غرفة واحدة تكلف ألفي جنيه إسترليني للإيجار شهريًا، أو ستمائة ألف جنيه إسترليني للشراء. هذه الأسعار الخيالية لا تعكس التكلفة الحقيقية لبناء عقار، ولكنها من تبعات الخصخصة السريعة لبورصة الإسكان العام في بريطانيا منذ ١٩٨٠، بالإضافة إلى المضاربات المالية وسياسة سعر الفائدة الصفري والتيسير الكمي والتي رفعت سعر الأصول لصالح الأثرياء في أعقاب الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨. في هذه الأثناء، لم تساير الأجور أسعار المسكن. لشراء بيت، على اللندنيين زيادة إجمالي ساعات عملهم أو الاتجاه إلى القروض والتي هي فعليًا على حساب عملهم المستقبلي. بعبارةٍ أخرى، مطلوب من الناس العمل لساعاتٍ طوال لكسب مبالغ إضافية فقط لأجل إيجاد مأوي، الذي كان متاحًا من قبل بجزء بسيط من الدخل. خلال هذه العملية، ينتجون سلع وخدمات إضافية يجب أن يوجد لها سوق، ومن ثمَ خلق ضغوط جديدة على الاستهلاك تتمثل في- على سبيل المثال- حملات إعلانية عدائية ومتزايدة.

هذه الأسعار الخيالية للشقق في لندن إذًا تدفع الجميع إلى المساهمة في القوي الماحقة المتسارعة للإنتاج والاستهلاك، بما يستتبعه من عواقب بيئية.

هذه المشكلة من عمر الرأسمالية ذاتها، واسمها التسييج. ترى إلين إيكسينز وود (١٩٩٩) أن بذرة الرأسمالية ترجع إلى حركة التسييج في إنجلترا حين سيّجت النخب الغنية- يدعمها تشريع ميرتون لعام ١٢٣٥- المشاع وأبعدت المزارعين عن الأرض الزراعية في حملة تهجير عنيفة استمرت عدة قرون.

شهدت هذه الفترة منع "حق السكن"- المنصوص عليه في ميثاق الغابات- والذي ضمن للأشخاص العاديين الوصول إلى الأرض والغابات والصيد والكلأ والماء والأسماك والموارد الأخرى اللازمة للحياة. بعد تطبيق التسييج، وجد عوام الإنجليز أنفسهم عرضة للنظام الجديد: من أجل البقاء، عليهم التنافس لإيجار الأراضي المُخصخصة حديثًا لزراعتها. الإيجارات كانت على أساس الإنتاجية، ويُعاد تقييمها دوريًا. وللاحتفاظ بالأراضي المستأجرة، كان على المزارعين إيجاد حلول لزيادة إنتاجيتهم بالمقارنة بالمنافسين (في حين كانوا يتعاونون معًا سابقًا بحكم العشرة كأقارب وجيران)، حتى وإن كانت زائدة عن حاجتهم أو رغبتهم. الخاسرون في سباق الإنتاجية يفقدون ميزة الوصول إلى الأرض ومن ثمّ يواجهون خطر المجاعة.

مع التسييج هناك نقطتان: الأولى هي التراكم البدائي المباشر الذي من شأنه تكون الأرض والموارد الطبيعية المشاع مكتسبة بلا مقابل. هذه العملية ضرورية لخلق الوفرة الرأسمالية أو الربح: دائمًا ما تحتاج الرأسمالية عنصر خارجي يمكن من خلاله استخراج قيمة غير تعويضية. ولكن على المحك هناك قوى أكثر حركية: بزوغ قدرة إنتاجية عظمى تسمى الرأسمالية وتعتمد في المقام الأول على تعريض البشر للندرة المصطنعة. خلقت الندرة- وخطر الجوع- حافزًا للإنتاجية التنافسية وعملت **كمحرك للنمو**. كانت الندرة إذًا **مصطنعة**؛ بمعنى أنه لم يوجد نضوب فعلي للموارد: دامت جميع الأراضي والغابات والمياه نفسها، ولكن إتاحتها للناس أصبحت محدودة. بهذا المعنى، ظهرت الندرة في معرض التراكم الطبقي، وعززتها عنف الدولة: هبات الفلاحين ضد التسييج كانت تُقمع بالقوة مرارًا وتكرارًا، وغالبًا ما نتج عن مذابح (فارلي ٢٠٠٩).

يلاحظ مايكل بيرلمان (٢٠٠٠) أن السجلات التاريخية مليئة بتعليقات من جانب أصحاب الأراضي والنخب الإنجليز احتفالاً بالتسييج كأداة لتعزيز "صناعة" الفلاحين الذين أصبح وصولهم للمشاع الوفير بناءً على الراحة و"الغطرسة". ربما من الهام الإشارة إلى بعض أبرز الأمثلة: كتب جون بيلرز (١٦٩٥) من جماعة الكويكرز "تجعل غاباتنا ومشاعنا الكبير الفقراء مثل الهنود: عقبة أمام الصناعة وحاضنة للكسل والوقاحة". ولاحظ عالم الزراعة آرثر يانج (١٧٧٧)"أن الجميع- ما عدا البلهاء- يعلم أن الطبقات الدنيا يجب أن تبقى فقيرة وإلا لن يصبحوا منتجين أبدًا". وأكد القس

جوزيف تاونسند (١٧٨٦) أن: الجوع فقط هو ما يدفعهم للعمل"، مضيفًا: "القيود القانونية [...] يتبعها الكثير من المشكلات والعنف والضوضاء [...] بينما الجوع ليس فقط ضغطًا سلميًا وصامتًا ومتواصلاً، ولكن بوصفه الدافع الطبيعي للصناعة يدعو إلى أقوى الجهود [...] يُروِّض الجوع أشرس الحيوانات، ويعلم الاحترام والحضارة والطاعة والخضوع للأكثر فظاظة وعندًا وإصرارًا.

ويعد التاجر الإسكتلندي باتريك كوكهون الفقر شرطًا أساسيًا مسبقًا للتصنيع:

> الفقر هو تلك الحالة والظرف في المجتمع الذي يكون فيه للفرد ندرة للعمل، أو بعبارةٍ أخرى أي أملاك أو مورد للرزق، إلا تلك المستقاة من ممارسة التصنيع في مختلف مناحي الحياة. الفقر إذًا عنصر هام ولا غنى عنه في المجتمع وبدونه لا تستقيم البلاد والمجتمعات ولا تجد لنفسها مكانًا في الحضارة. الفقر هو نصيب البشر. وهو أيضًا مصدر الثروة لأن بدونه لا وجود للعمل ولا الثروات ولا وسائل التحسين والراحة ولا مزايا لمن يمتلكون المال.

ولكن ديفيد هيوم (١٧٥٢) هو من وضّح نظرية "الندرة": "من الملاحظ دائمًا في سنوات الندرة أن العمالة الفقيرة دائمًا ما تتمتع بحياة أفضل".

انكشفت نفس العملية؛ إنتاج الندرة لغاية توليد نمو رأسمالي، في أنحاء العالم خلال فترة الحضارة الأوروبية بشكل أوضح. وحول إفريقيا البريطانية واجه المستعمرون ما أطلقوا عليه "مسألة العمل": كيف يجعلون الأفارقة يعملون في التعدين والزراعة بأجورٍ متدينة في وقت لم تعد فيه العبودية مطروحة؟ اكتشف المستعمرون أن الأفارقة راضون بمستوى معيشتهم؛ حيث يمتلكون كل الأراضي والماشية التي يحتاجوها ولا يميلون إلى بذل قصارى جهدهم في الصناعات الأوروبية. ولم تكن الأجور مرتفعة بما فيه الكفاية لجذب الأشخاص طواعيةً إلى سوق العمل الرأسمالي. فكان الحل الذي استقر عليه المستعمرون هو دفع الناس عن أراضيهم (ولعل أشهر مثال هو قانون الأراضي للسكان الأصليين في جنوب أفريقيا) أو إجبارهم على دفع الضرائب بالعملات الأوروبية، وكلاهما ترك الناس بلا أي خيار إلا مقايضة عملهم من أجل الأجور. ويعني خلق الندرة المصطنعة أنه

للوصول إلى وسائل البقاء كان على الناس الاشتراك في السباق المحموم للإنتاجية (بما يصاحبه ذلك من ضغوط للاستهلاك).

وفي الهند، سعى المستعمرون الأوروبيون إلى إيجاد حلول لإجبار الهنود على التحول من الزراعة الكفافية إلى المحاصيل النقدية للتصدير (ديفيس ٢٠٠٠، باتنايك ٢٠١٨). ووجدوا أنهم غير راغبين طواعيةً في هذا التحول لأنهم يتمتعون بمستوى معيشة كافٍ بالفعل. وحتى في أوقات الجفاف كان هناك نظام متين للمساعدات المشتركة يضمن الرفاهية. السياسات الاستعمارية- التي بدأت مع شركة الهند الشرقية البريطانية واستمرت خلال الحكم البريطاني- هدفت إلى تفكيك نظام الدعم المُعتمد عليه: تدمير مخازن الحبوب المجتمعية، وخصخصة نظم الري المجتمعية، وتسييج الأراضي المشاع المُستخدمة للخشب والكلأ والصيد، وفرض الضرائب على الفلاحين إلى حد الديون. ومثل حركة التسييج في بريطانيا، كان الغرض الصريح هو وضع الناس تحت رحمة الجوع، ومن ثمَّ إجبارهم ليس فقط على المشاركة في زراعة المحاصيل النقدية ولكن التنافس مع بعضهم البعض. رفع هذا النهج من الإنتاجية الزراعية، ولكن على حساب حياة الناس؛ حيث جعلهم عرضة للتقلبات المناخية وتقلبات السوق لدرجة أن عشرات الملايين ماتوا بلا داع جراء المجاعة تحت الاستعمار البريطاني، منهم ٣٠ مليون هلكوا خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر؛ وهو ذروة العصر الفيكتوري.

تكررت نفس عملية التسييج والتحول بالقوة نحو التشظي خلال فترة الاستعمار الأوروبي- ليس فقط البريطاني ولكن الإسباني والبرتغالي والفرنسي والهولندي- ولا يتسع المجال لسرد كل الأمثلة هنا. وفي جميع الأحوال، كانت الاستعانة بالندرة الاصطناعية مقصودًا كمحرك التوسع الرأسمالي.

اليوم في عالمنا المتشظي، يشعر الناس بقوة الندرة في التهديد المستمر للبطالة. يجب على العمال أن يصبحوا أكثر انضباطًا وإنتاجيةً في العمل وإلا سيفقدون وظائفهم للأكثر إنتاجية- عادةً من هم أفقر وفي حاجة ماسة للعمل. ولكن هناك مفارقة: مع زيادة الإنتاجية نحتاج عمالة أقل لإنتاج نفس الكمية من السلع والخدمات. ويسفر ذلك عن تسريح العمال الذين يجدوا أنفسهم بلا مصدر

للرزق. تضطر الدولة- المتحرقة إلى تقليل البطالة والحماية من الأزمات الاجتماعية والسياسية- حينها إلى إيجاد حلول لنمو الاقتصاد لخلق فرص عمل جديدة لمساعدة الناس على البقاء، فتلجأ إلى تخفيض الضرائب والقيود على الاستثمارات، وإتاحة الطاقة الرخيصة والمواد الخام، والسماح بالاستهلاك المدفوع بالاستدانة وما إلى ذلك. ومع إدراكهم لهذ التفاعل، ينضم العمال والنقابات العمالية إلى جوقة دعوات الاستمرار في النمو على هذه الشاكلة، ويميلون إلى انتخاب سياسيين يوفون بهذه الوعود. تخلق الندرة إذًا جماهير لمذهب (أيديولوجيا) النمو.

حتى من يهتمون بالانحدار البيئي مضطرون للخضوع لهذا المنطق: إذا كنتم تهتمون حقًا بحياة الناس عليكم المطالبة بالنمو في المقام الأول بغض النظر عن التبعات البيئية- سنهتم بالبيئة لاحقًا عندما يجد الجميع كفايتهم. ولكن الإشكالية أن لاحقًا لن يأتي أبدا؛ لأن مشكلة الندرة لن تُحل- ليس هناك كفاية. كلما اقتربنا من حل مشكلة الندرة سريعًا ما تولد من جديد. تنبأ كينيز في ١٩٣٠ أن الاقتصاد سيكون منتجًا بسرعة وتشبع حتى يجد الناس أنفسهم غير مضطرين للعمل أكثر من ١٥ ساعة أسبوعيًا لإشباع حاجاتهم المادية، ومن ثمّ إيجاد وقت فراغ أطول. تخطت الإنتاجية منذ زمن نقطة الوفرة التي تنبأ بها كينيز، ولكن نبوءته بخصوص العمل لم تتحقق قط، لأنه بدلاً عن ترجمة مكاسب الإنتاج إلى ساعات عمل أقصر وأجور أعلى وضمان الوظائف، احتفظ الرأسماليون بالمزايا لأنفسهم لزيادة أرباحهم مع بقاء الأجور متدنية والإبقاء على شبح البطالة بهدف فرض الانضباط على العمال.

بهذه الطريقة، تُحوِّل الرأسمالية حتى أبرز مكاسب الإنتاجية ليس إلى الوفرة وحرية البشر ولكن إلى أشكال جديدة من الندرة المصطنعة، وإلا تخاطر بإبطال محرك التراكم ذاته وذبح الدجاجة التي تبيض ذهبًا.

يتضح هنا أن اللامساواة نفسها تدفع الندرة المصطنعة، تمامًا مثل التسييج في عصورٍ سابقة. في سبعينات القرن العشرين، كان معدل الفقر أقل في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان المتوسط الحقيقي للأجور أعلى ومستويات السعادة أكبر مما هي عليه اليوم، بالرغم من أن دخل الفرد أقل

من نصف ما هو حاليًا. الفرق يكمن في التوزيع: في السبعينات كان تقاسم الدخل أكثر عدلاً، مسفرًا عن تبعات اجتماعية أفضل. منذ ١٩٨٠، معظم ثمار النمو راكمها الأغنياء تاركين المجتمع في حالة ندرة مصطنعة. تكررت هذه العملية في كل الدول التي شهدت زيادة اللامساواة، وعلى المستوى العالمي أيضًا. يعيش ٤٫٢ مليار شخص على مستوى العالم اليوم (٦٠٪ من البشر) على ما يوازي أقل من ٧٫٤٠ دولار أمريكي يوميًا، وهو الحد الأدنى اللازم للتغذية الأساسية وتوقعات العمر المأمول. ومنذ الثمانينات من القرن الماضي، ارتفعت دخول الشريحة الأغنى (تعادل ١٪ من سكان العالم) مائة مرة عن دخول الشريحة الأفقر (٦٠٪ من السكان) وتبلغ حاليًا ١٨٫٧ ترليون دولار أمريكي (تقرير اللامساواة العالمي ٢٠١٨)؛ وهو أكبر ثلاث مرات من الرقم اللازم لسد فجوة الفقر وانتشال كل شخص على مستوى العالم من حد ٧٫٤٠ دولار أمريكي يوميًا. بعبارةٍ أخرى، يُمكّن إنهاء الفقر العالمي في لمح البصر بتحويل ثلث دخول الشرائح الأغنى (١٪) إلى الشرائح الأفقر (٦٠٪) البالغ عددهم ٤٫٢ مليار شخص، بينما يحتفظ الأغنى (١٪) بما يوازي ١٧٥٠٠٠ دولار سنويًا.

يمكن أن نرى أيضًا منطق الندرة المصطنعة في مجال الاستهلاك. المُصنعون الذين يخشون ألا تستوعب احتياجات الأشخاص الأساسية الإنتاج الهائل للرأسمالية عليهم أن يخلقوا احتياجات جديدة وإلا يتوقف السباق المحموم. يمكن تحقيق هذا من خلال عدة أدوات؛ منها: توسيع الرغبات عن طريق حملات إعلانية متطورة، ونشرها في جميع المساحات العامة والخاصة للتأثير على مشاعر الناس لخلق "احتياجات" جديدة لمنتجات تعد بضمان تعزيز تقدير الذات والمكانة الاجتماعية والهوية والبراعة الجنسية وما إلى ذلك، وكلها احتياجات لم تكن موجودة من قبل، وقطعًا لا نحتاج إلى وجودها. ومنها أيضًا تعميم منتجات مصممة للتدهور سريعًا (مثل الحواسيب المحمولة والهواتف الذكية) أو تتقادم (كما في صعود صيحات الموضة السريعة) ومن ثمّ يجب استبدالها مرارًا أكثر مما نحتاج. وكذلك عند إعاقة تطوير المرافق العامة فلا يكون أمام الناس سوى شراء البدائل الخاصة، على سبيل المثال: منع إنشاء نظم تنقل عامة بكفاءة عالية لضمان تدفق ثابت للطلب على صناعة السيارات.

وعلاوةً على ذلك، جزء كبير من الاستهلاك في البلدان عالية التصنيع مدفوع بندرة مصطنعة حينها.

فمع تصاعد الضغط على العمالة، يُقلص الإكراه البنيوي للعمل لساعاتٍ طويلة بلا داع الوقت الباقي يومياً للأشخاص فيضطرون إلى اللجوء لشركات لدفع مقابل خدمات كانوا سيقومون بها بأنفسهم لو توافر الوقت: مثل طهي الوجبات، وتنظيف المنازل، ومجالسة الصغار، ورعاية الأبوين كبار السن. على الجانب الآخر، يخلق ضغط إرهاق العمل الزائد الحاجة لمضادات الاكتئاب، والأدوية المساعدة على النوم، والكحوليات، وأخصائيي التغذية، وعضوية صالات الرياضة، والعلاج النفسي، والاستشارات الزوجية، والعطلات الباهظة، ومنتجات أخرى كنا سنكون بلا حاجة لها.

ولدفع مقابل هذه المنتجات والسلع، على الأشخاص العمل أكثر لزيادة الدخل، في حلقة مفرغة من الإنتاج والاستهلاك غير الضروري.

يكشف كل ما سبق عن تناقض مثير للاهتمام؛ يعد مذهب الرأسمالية نفسه نظاماً يُولِّد وفرة هائلة (دعونا نفكر في كل المنتجات المعروضة على شاشات التلفزيون وواجهات المحلات، كموكب استثنائي من الوفرة) ولكنه في الحقيقة نظام يعتمد على الإنتاج الثابت للندرة.

حل مفارقة لوديرديل

جيميس ماتلاند، الإيرل الثامن للوديرديل، هو أول من أشار إلى النمط الذي يستخدمه النمو الرأسمالي في توليد الندرة، وذلك في *Inquiry into the Nature and Origin of Public Wealth and into the Means and Causes of its Increase* عام ١٨٠٤، وهو ما عُرف لاحقًا باسم «مفارقة لوديرديل»: أن هناك علاقة عكسية بين "الثروات الخاصة" و"الثروة العامة" وأي زيادة في الأولى تأتي على حساب الثانية (انظر/ي فوستر وكلارك ٢٠٠٩).

يقول ماتلاند: "يمكن تعريف الثروة العامة بأنها تضم كل ما يرغبه الإنسان كمفيد ومبهج". بعبارةٍ أخرى، تشمل الثروة العامة السلع ذات القيمة الاستخدامية الحقيقية، حتى لو بوفرة، مثل الهواء والماء والطعام. على الناحية الأخرى تشمل الثروات الخاصة "كل ما يرغبه الإنسان كمفيد ومبهج، والموجود بدرجة ما من الندرة". بعبارةٍ أخرى، سعى ماتلاند إلى شرح كيف تعتمد الثروات

الخاصة على سلع لها قيمة تبادلية تزيد بتناسب مع ندرتها. وعلى سبيل المثال أوضح أنه إذا سيّج المرء موردًا وفيرًا مثل الماء لتكريس احتكاره، يمكنه حينها كسب المال مقابل إتاحته ومن ثمّ زيادة ثرواته الخاصة. سيزيد هذا أيضًا ما يسميه ماتلاند "إجمالي الثروات الفردية"- ما نسميه اليوم الناتج المحلي الإجمالي. ولكن هذه الزيادة- للثروات الخاصة والناتج المحلي الإجمالي- يمكن تحقيقها مع تقليص إتاحة ما كان سابقًا وفيرًا ومتاحًا مجانًا.

أدرك ماتلاند حدوث هذا خلال الاستعمار الأوروبي لم يصل إلى تنظير التسييج (بعكس هنري جورج وكارل ماركس لاحقًا خلال القرن)، لكنه لم يشير إلى أن الاستعمار كثيرًا ما كان يلجأ إلى حرق الأشجار المثمرة حتى لا يمكن للسكان المحليين الاعتماد على الوفرة الطبيعية للأرض، ويضطرون إلى العمل مقابل الأجور وشراء الطعام من الأوروبيين. من أجل الثروات الخاصة والناتج المحلي الإجمالي، لزم تحويل ما كان سابقًا وفيرًا ومتاحًا مجانًا إلى نادر. ولعل أبرز مثال على هذا ضريبة الملح التي فرضها الاحتلال الإنجليزي على الهند. كان الملح متوفرًا على طول سواحل الهند، ولكن الإنجليز منعوا الناس من جمعه وفرضوا ضرائب على استهلاكه لخلق ما سيكون عائدًا مضمونًا للحكومة الاستعمارية. منع الثروة العامة إذًا ولّد الثروات الخاصة.

يمكننا أن نرى تكرارًا لذات العملية اليوم في الموجات اللانهائية للخصخصة حول العالم منذ ثمانينات القرن الماضي؛ خصخصة التعليم، والرعاية الصحية، والتنقل، والمكتبات، والحدائق، وحمامات السباحة، والمياه، وحتى الضمان الاجتماعي. وفي الوقت الذي جرت العولمة في مجراها وتفكيك حماية التجارة حول العالم والأجور متدنية لأقل قدرٍ ممكن وسوق المستهلكين يزداد تشبعًا، يتطلب النمو المستمر موجات جديدة أطلق عليها ديفيد هارفي (٢٠٠٣) التراكم عن طريق السلب[٢٠]- تسييج ما تبقى من الثروات العامة. تُهاجم السلع الاجتماعية في كل مكان- يجب أن تصبح نادرة لزيادة الناتج المحلي الإجمالي. ويجب على الناس الدفع للحصول على السلع التي كانت متاحة مجانًا من قبل. وليستطيعوا الدفع، يجب طبعًا أن يعملوا أكثر ليوضعوا مرةً أخرى تحت ضغط التنافس نحو الإنتاجية، وهو مبرر أيضًا لأجل لزيادة الناتج المحلي الإجمالي. وبالفعل يكشف هوس مجتمعاتنا بنمو

٢٠- يُشار إليه في بعض الأدبيات بالتراكم النزعي أو الانتزاعي (المترجمة).

الناتج المحلي الإجمالي- بوصفه الهدف الأول للسياسات العامة- عن ترسيخ مفارقة لوديرديل كمنطق سياسي سليم، الانتصار الأسمى للتسييج، حتى أصبح نمو "الثروات الخاصة" داعمًا للتقدم ذاته. وفي هذه الأثناء، وبشكل ملائم ودال، لا يوجد مؤشر يُوضّح مصاحبة الانهيار للثروة العامة.

يصل هذا المنطق إلى أوجه في النسخة المعاصرة من التقشف التي اجتاحت أوروبا في أعقاب الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨. ولكن ما هو التقشف حقًا؟ إنه محاولة يائسة لإعادة تشغيل محركات النمو مع تقليص الاستثمار العام في السلع الاجتماعية وحماية الرفاه- كل شيء بين مخصصات التدفئة للمسنين وحتى إعانات البطالة وأجور القطاع العام- مع تقليل ما تبقى من المشاع حتى وضع الأشخاص الموصومين بال«راحة» أو «الكسل» تحت تهديد الجوع ثانيةً وإجبارهم على زيادة إنتاجيتهم إذا أرادوا البقاء. هذا المنطق صريح، مثلما كان الحال في كتابات مثل جون بيليرز وديفيد هيوم. خلال فترة رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كاميرون ووزير ماليته جورج أوزبورن أُجريت تقليصات على ميزانية الرفاه صراحةً لدفع "الكسالى" للعمل بجد. يجب تعزيز الندرة لنمو أكثر كما أشار ماتلاند. وبمنطق التقشف، الندرة والنمو وجهان لعملة واحدة تماما كأثناء التسييج.

أُضيف عنصرًا آخر لهذا التفاعل، حيث تكشف مفارقة لوديرديل عن نفسها خلال عملية الانحدار البيئي التي تبرز على مستوى الكوكب. هناك زيادة استثنائية في الناتج المحلي الإجمالي العالمي منذ خمسينات القرن الماضي (غالبًا ما يُشار إليها بمصطلح "التسارع الكبير")، ولكن هذا النمو في "الثروات الخاصة" جاء على حساب النضوب الاستثنائي للعالم المُعاش بسبب الاقتران الوثيق بين الناتج المحلي الإجمالي العالمي وإنتاج المواد والطاقة. دُمرت أغلب الغابات الاستوائية على الكوكب، وتدهورت التربة الزراعية بشكل كبير، وتسارعت معدلات انقراض الأنواع ١٠٠٠ مرة أكثر من المعدلات السابقة على الثورة الصناعية، وتسببت انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في التغير المناخي وتحمض المحيطات مما يزعزع استقرار النظم البيئية البرية والبحرية ويهدد سلاسل الغذاء. وهذا ثمن النهب الطويل للقيمة "المجانية" من الطبيعة. وبزعزعة استقرار المحيط الحيوي الذي تعتمد عليه الحياة البشرية، جرى التضحية بأعظم ثروة عامة على الإطلاق؛ وهي سلامة المحيط الحيوي للكوكب، لخاطر الثروات الخاصة.

ماذا سيحدث إذًا؟ كيف ستحل الرأسمالية هذه الأزمة؟ تجاوبًا مع خطر الانهيار البيئي، يمكن للمرء القول إننا نحتاج جميعًا إلى تقليل الانبعاثات والاستخدام المادي لمستويات مستدامة، مثلما اقترح تصور تفكيك النمو للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (المُشار إليه سابقًا). يصر البعض أنه ما إن وصلنا إلى هذه النقطة لا يوجد عائق أمام نمو الناتج المحلي الإجمالي إلى ما لا نهاية بينما يتعافى المحيط الحيوي. ولكن عند حظر الانبعاثات وتقليل الاستخدام المادي إلى الحدود الدنيا، من أين تكتسب الرأسمالية مدخلاتها المجانية إذا نحينا الطبيعة والوقود الأحفوري كثيف الطاقة جانبًا؟ سيكون عليها الاتجاه إلى مصادر أولية أخرى للقيمة وتحديدًا العمل البشري. يُمكن أن نتوقع حينها أنه في حالة الطوارئ البيئية، تلتمس الرأسمالية النمو عن طريق إيجاد طريق جديدة للضغط على العمال من أجل المكسب.

يصر بعض الاقتصاديين التقدميين، مثل دين بيكر (٢٠١٨)، أن النمو المستمر ليس مضطرًا أن يكون جشعًا، وأننا يمكن أن نقلل إنتاج المواد والطاقة **وفي الوقت نفسه** حماية حقوق العمال (بتفعيل وضع حدود على مصادر القيمة التي تستمد منها الرأسمالية) **مع** النمو، وأنه لا يوجد سبب ألا تقدر القيمة الجديدة أن تكون غير مادية.

لا يوجد سبب قوي للقول بخطأ بيكر في هذه الفرضية. طوال تاريخها اقترنت الرأسمالية بإنتاج المواد والطاقة (حتى خلال التحول إلى الخدمات في الشمال العالمي)، لذا فتخيل أن الناتج المحلي الإجمالي يمكن أن يستمر في النمو مع انحدار الإنتاجية هو الذهاب عكس الدلائل المتاحة- وقطعًا تخيل نوع مختلف كليةً من الاقتصاد لم يوجد من قبل. فإذا كنا سنتخيل نوعًا جديدًا من الاقتصاد أصلاً، لم لا يكون بلا نمو؟ وهنا نأتي للنقطة الرئيسية: نمو الإنتاج ليس المشكلة الكبرى، ولكن إلزامية النمو نفسه. للتوضيح، يُمكن تخيل أنه في اقتصاد حيث **يجب** النمو رغمًا عن تقليل الإنتاج، وحيث يجب أن تصبح كل القيم الجديدة إذًا غير مادية، يسعى رأس المال إلى تسييج المشاع غير المادي المتاح بوفرة ومجانًا حاليًا (مثل المعرفة، والأغاني، والمساحات الخضراء، وحتى الوالدية، والتلامس الجسدي، والحب، وربما الهواء نفسه) وبيعها ثانيةً مقابل المال. فبعض تعرضهم لهذه الموجات من الندرة المصطنعة، يجد الناس أنفسهم إذًا في اضطرار للعمل وكسب المال في الصناعات الجديدة غير

المادية فقط ليستطيعوا الحصول على هذه السلع غير المادية التي كانت متاحة قبلاً. ربما يكون هذا اقتصادًا بيئيًا، لكنه ليس منطقيًا، وليس اقتصادًا يتمنى المرء أن يعيش فيه.

الفكرة من هذا التمرين الخيالي توضيح أن تقليل الإنتاجية يمكن أن يخلق ظروفًا لاقتصاد بيئي والتسبب في تقليص إنتاجية المواد والطاقة، لكنه لا يُحيِّد العنف الأعمق لهذا الطاغوت، منطق النمو ذاته. يُمكن أن تكون هذه الخطوة مناسبة من الناحية العملية، لكها غير مرضية فكريًا. الطريقة الوحيدة إذًا لحل مفارقة لوديريل هو قلبها: إعادة ترتيب الاقتصاد حول توليد وفرة في الثروة العامة حتى لو على حساب الثروات الخاصة، مما يُحرِّر البشر من الضغوط التي تُولدها الندرة المصطنعة، ومن ثمّ تحييد هذا الطاغوت وتحرير العالم من قبضته.

نظرية للوفرة الجذرية؟

كيف سيبدو هذا؟ لنعود إلى المثال الذي بدأنا به: سوق السكن في لندن. تخيلوا لو كنا نستطيع نزع التسليع- ولو جزئيًا- عن بورصة السكن في لندن، تخيلوا أن الحكومة قلصت سعر السكن على نصف الحدود الحالية. ستبقى الأسعار باهظة جدًا، ولكن سيتمكن اللندنيون فجأة من كسب أقل بدون أي تقليل من مستوى معيشتهم. وسيكسبون قطعًا وقتًا أطول مع العائلة والأصدقاء، ولممارسة ما يحبون، وتحسن صحتهم الجسدية والنفسية وما إلى ذلك. وبحاجتهم إلى عمل أقل سيساهمون في تقليل الإنتاج الزائد ومن ثم تسهيل ملازمة الضغوط لاستهلاك غير ضروري.

يُمكن تطبيق نفس التجربة القاسية على جميع السلع الاجتماعية التي تعرضت للندرة المصطنعة أو التي يمكن إدارتها بسهولة كمشاع. وهنا أفكر ليس فقط في الرعاية الصحية والتعليم- وهما سلعتان عامتان كما يعدهما معظم الاشتراكيين الديمقراطيين- ولكن سلع رئيسية أخرى للرفاه مثل الإنترنت والسكن ووسائل النقل العامة كما في رؤية السلع الأساسية العالمية التي وضعها أكاديميون في كلية لندن الجامعية (٢٠١٧). وبالإضافة إلى ذلك، يمكن إدخال "مرافق"جديدة مثل أوبر وإير بي إن بي في الملكية العامة أو خلق بدائل عامة جديدة، ومن ثمّ تمكين ظهور "منصات مشاعية"تسمح للأشخاص بتبادل مواردهم المادية (مثل السيارات والمساكن) بدون الحاجة إلى دفع مبالغ باهظة

وغير ضرورية للمحتكرين. يمكن اعتبار التشغيل أيضًا سلعة مشاعية، وسيكون من اللازم تقصير أسبوع العمل مع ضمانات وظيفية وأجور معيشية، بالإضافة إلى تشريع يضمن أن تعود كل مكاسب الإنتاج إلى العمال على شكل أجور أعلى وساعات عمل أقل. وبمنع الإعلانات في المساحات العامة، يمكن لنا كعوام أن نستعيد الشارع (والانتباه) ونحرر الناس من إحساس الندرة الذي تغذيه الإعلانات.

ومع نزع التسييج عن عموم الناس وإعادة توزيع الدخل الحالي بشكل أكثر عدلاً، نُمكّن الناس من الوصول إلى السلع اللازمة للعيش جيدًا بدون الحاجة إلى مستويات دخل عالية (ومن ثمَّ نمو إضافي). سيستطيع الناس العمل أقل بدون خسائر لجودة حياتهم، ومن ثمَّ إنتاج سلع غير ضرورية أقل وتوليد ضغط أقل على الاستهلاك غير الضروري. وبإتاحة وقت فراغ أطول سيكون هناك متسع لقضاء وقت مع الأعزاء، والتعاون مع الجيران، ورعاية الأصدقاء والأقارب، وطهي وجبات صحية، وممارسة الرياضة والاستمتاع بالطبيعة، ومن ثمَّ تصبح أنماط الاستهلاك القائمة على ندرة الوقت غير ضرورية، وتزدهر فرص للتعلم وتطوير مهارات مثل الصيانة والزراعة المنزلية والنجارة مما يساهم في الكفاية الذاتية المحلية (ألكسندر وجليسون ٢٠١٩).

يؤدي تحرير الأشخاص من ضغوط الندرة المصطنعة إلى ذبول شعورهم بالاضطرار إلى التنافس. لن يكون علينا مضيعة الوقت والطاقة لصالح طاغوت الإنتاج والاستهلاك والتدمير البيئي. سينتج الاقتصاد أقل بالفعل، ولكنه **سيحتاج** أقل أيضًا. سيكون أصغر ولكن بوفرة أكثر. ربما ستقل الثروات الخاصة (أو الناتج المحلي الإجمالي)- كما أشار ماتلاند- بتقليص دخول الشركات والطبقات الأكثر ثراءً، ولكن الثروة العامة سترتفع لتحسن حياة الجميع. فجأة تظهر مفارقة جديدة: الوفرة ترياق النمو.

لو يُمثِّل التقشف أوج مفارقة لوديرديل- حيث نضحي بالثروة العامة لأجل توليد ثروات خاصة- يتضح مما سبق أن تفكيك النمو هو العكس بالضبط. حاول البعض- من اليساريين وليس اليمينيين هذه المرة- تشويه تفكيك النمو بوصمه النسخة الجديدة من التقشف، في تكريس جديد للبيئيين من

المدرسة القديمة الراغبين في دفع الجميع لعيش حياة بائسة. ولكن العكس هو الصحيح: بينما يُطالب التقشف بالندرة لتوليد نمو أكثر، يطالب تفكيك النمو بالوفرة **لجعل النمو غير ضروري.** الوفرة، إذًا هي حل أزمتنا البيئية. لو أردنا تجنب كارثة مناخية، على علماء البيئة في القرن الحادي والعشرين الدعوة إلى مطلب جديد: الوفرة الجذرية.

المراجع

1- Anderson, K., & Peters, G. (2016) "The trouble with negative emissions." *Science*, 354(6309), pp. 182 183.

2- Baker, Dean (2018) "Will degrowthing save the planet?" *Beat the Press*.

3- Bringezu, S. et al. (2015) "Possible target corridor for sustainable use of global material resources." *Resources*, 4, pp. 25-54.

4- D'Alisa, G., Demaria, F., & Kallis, G. (2014) "From austerity to depense." In *Degrowth*: *a vocabulary for a new era*. Routledge.

5- D'Allessandro et al. (2018) "EUROGREEN Model of job creation in a post-growth economy." The Greens and EFA in the European Parliament.

6- Davis, M. (2002) Late Victorian holocausts: El Niño famines and the making of the third world. Verso Books.

7- De Coninck, H., and Benson, S. M. (2014) "Carbon dioxide capture and storage: issues and prospects." *Annual Review of Environment Resources*, 39, pp.243-270.

8- Dietz, R., & O'Neill, D. (2013) *Enough is enough*: *Building a sustainable economy in a world of finite resources*. San Francisco/London: Berrett-Koehler/Routledge.

9- Dittrich, M., Giljum, S., Lutter, S., & Polzin, C. (2012) "Green economies around the world." *Implications of resource use for development and the environment*. Vienna: SERI.

10-European Academies Science Advisory Council (2018) "Negative Emission Technologies: What role in meeting Paris Agreement targets?" EASAC Policy Report 35.

11- Fairlie, S. (2009) "A short history of enclosure in Britain." *The Land*, 7, pp. 16-31.

12- Foster, J. B. and Clark, B. (2009) Monthly Review (01 Nov) https://monthlyreview.org/2009/11/01/the-paradox-of-wealth-capitalism-and-ecological-destruction/

13- Fuss, S. et al. (2014) "Betting on negative emissions." *Nature Climate Change*, 4(10), pp. 850-853.

14- Galbraith, J. K. (1998). *The affluent society*. Boston, MA: Houghton Mifflin Harcourt.

15 - Global CCS Institute. (2015) Global Status of CCS 2015: Summary Report.

Grubler, Arnulf et al. (2018) "A low energy demand scenario for meeting the 1.5C target and sustainable development goals without negative emissions technologies." *Nature Energy*, 3, pp. 515-527.

16- Harvey, David (2003) *The New Imperialism*. Oxford University Press.

17- Heck, V. et al. (2018) "Biomass-based negative emissions difficult to reconcile with planetary boundaries." *Nature Climate Change*, 8.

18- Hickel, Jason and Giorgos Kallis (2019) "Is Green Growth Possible?" *New Political Economy*.

19- Hoekstra, A.Y. & Wiedmann, T.O (20214)"Humanity's unsustainable environmental footprint." *Science*, 344, pp. 1114-1117.

20- Holz, C., Siegel, L. S., Johnston, E., Jones, A. P., & Sterman, J. (2018) "Ratcheting ambition to limit warming to 1.5°C–trade-offs between emission reductions and carbon dioxide removal." *Environmental Research Letters*, 13(6), 064028.

21- IGP (Institute for Global Prosperity) (2017) Social prosperity for the future: a proposal for Universal Basic Services. University College London.
https://www.ucl.ac.uk/bartlett/igp/sites/bartlett/files/universal_basic_services_ _the_institute_for_global_prosperity_.pdf

22- IPCC. (2018) Global Warming of 1.5°C – Summary for Policymakers. Switzerland: IPCC.

23- Jackson, T. (2009) Prosperity without growth: Economics for a finite planet. Routledge.

24- Jacobson, M. Z., & Delucchi, M. A. (2011) "Providing all global energy with wind, water, and solar power, Part I: Technologies, energy resources, quantities and areas of infrastructure, and materials." *Energy policy*, 39(3), pp. 1154-1169.

25- Kallis, G. (2011) "In defense of degrowth." *Ecological Economics*, 70(5), pp.873-880.

26- Kallis, G. (2018) *Degrowth*. Newcastle-upon-Tyne: Agenda Publishing.

Larkin, A. et al. (2017) "What if negative emissions technologies fail at scale?" *Climate Policy*.

27- Latouche, S. (2009) *Farewell to growth*. Polity.

28- Latouche, S. (2014) "Essays on Frugal Abundance." *Degrowth*: *Misinterpretations and Controversies, Part* 1. Republished by the Simplicity Institute.

29- Patnaik, U. (2018) *Agrarian and Other Histories*. Columbia University Press.

30- Perelman, M. (2000) *The invention of capitalism*. Duke University Press.

31- Peters, G. (2017) "Does the carbon budget mean the end of fossil fuels?" *Climate News*.

32- Raftery et al. (2017) "Less than 2 °C warming by 2100 unlikely." *Nature Climate Change*.

33- Rockström, J. et al. (2009) "Planetary boundaries: exploring the safe operating space for humanity." *Ecology and Society*, 14, no. 2.

34- Sahlins, M. (1976) "The original affluent society." In *Culture and Practical Reason*. University of Chicago Press.

35- Schandl, H. et al. (2016) "Decoupling global environmental pressure and economic growth." *Journal of Cleaner Production*, 132, 45-56.

36- Smith, P. et al. (2016) "Biophysical and economic limits to negative CO2 emissions." *Nature Climate Change*, 6(1), pp. 42-50.

37- Steffen, W., et al. (2015) "Planetary boundaries: Guiding human development on a changing planet." *Science*, 347, no. 6223.

United Nations Environment Programme (UNEP) (2017). *Assessing Global Resource Use*.

37- Van Vuuren, D. P. et al. (2017) "Open discussion of negative emissions is urgently needed." *Nature Energy*, 2, pp. 902-904.

38- Vaughan, N.E., and Gough, C. (2016) "Expert assessment concludes negative emissions scenarios may not deliver." *Environmental Research Letters,* 11.

39- Victor, P. (2008) Managing without Growth: Slower by Design, Not Disaster. Edward Elgar Publishing.

40- Ward, J. et al. (2016) "Is decoupling GDP growth from environmental impact possible?" *PloS one* 11(10).

41- Wood, E. M. (2002) The Origin of Capitalism: A Longer View. Verso.

42- World Inequality Report (2018) Published by the World Inequality Database.

https://wir2018.wid.world/

عالمين مختلفين
بين الإسماعيلية والتباهة
او شخص واحد وتكن
له حياتين حياة العهد
وحياة القاهرة

FRIEDRICH EBERT STIFTUNG

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

URBAN LAB CAMP 4TH EDITION

NCSR